اقرأ

د. محمد رشاد الطوبي

الإنسان والجن في القرآن الكريم



دار المعارف



[٥٥٩]



د. محمد رشاد الطوبى

الإنسان والجن في القرآن الكريم



دار المعارف

إن الذين عنوا بإنشاء هـذه السلسلة ونشرهـا ، لم يفكـروا إلا فى شىء واحد، هـو نشر الثقافـة من حيث هى ثقـافة، لا يـريـدون إلا أن يقـرأ أبنـاء الشعـوب العـربيـة . وأن ينتفعـوا ، وأن تـدعـوهم هـذه القـراءة إلى الإستـزادة من الثقـافـة ، والـطمـوح إلى حيـاة عقليـة أرقى وأخصب من الحياة العقلية التى نحياها .

طه حسين

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

قال الله تعالى:

﴿وعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغيْبِ لا يعْلَمُها إلاَّ هُوَ ويعْلَمُ ما فى البَرِّ والبَحْرِ ومَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقةٍ إلاَّ يعْلمها ولا حَبَّةٍ فى ظُلُماتِ الأَرْضِ ولا رَطْبٍ ولا يابسٍ إلاَّ فى كِتَابٍ مُبينٍ﴾

سورة الأنعام آية ٥٩

صدق الله العظيم

مقدمة

منذ ما يقرب من عشر سنوات، أو ما يزيد قليلًا عن ذلك، بدأت فى البحث عن «الآيات القرآنية» الكريمة التى تعالج موضوع العلم فى «القرآن الكريم»، وذلك استعدادًا لإصدار بعض الكتب الخاصة بنشر «الثقافة العلمية الدينية» على أوسع نطاق، إشباعًا لرغبة شبابنا المتعطش إلى العلم والمعرفة. وكان اهتمامى قبل ذلك قاصرًا على الكتب الجامعية، أو كتب الثقافة العلمية المتخصصة.

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ﴾ ١ / العلق

صدق الله العظيم

وكان الإقبال الرائع الذى لقيه كتابى الأول فى هذا المجال أكبر الأثر فى نفسى، كما أعطانى دفعة قوية لمتابعة الكتابة فى موضوعات أخرى مماثلة، وكان من نتيجة ذلك أن صدرت الكتب التالية:

١ - ﴿وَفِى أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ رقم٤٨٩ - عام١٩٨٣

٢ - ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ رقم٥٠٧ - عام١٩٨٥

٣ - ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ رقم٥٢٥ - عام١٩٨٦

٤ - ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ رقم٥٣٨ - عام١٩٨٨

٥ - ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾ رقم٥٤٦ - عام١٩٨٩

وكان من نتيجة تلك الكتابات المتنوعة أن تجمعت عندى حصيلة كبيرة من الآيات القرآنية الكريمة، تتعلق بمختلف العلوم الأحيائية أو الطبيعية أو الفلكية أو غيرها، ولم أرد أن أستبقى تلك الآيات البينات حبيسة فى مذكراتى الخاصة، بل رأيت نشرها هى الأخرى إتمامًا للفائدة، مع معالجة الموضوعات التى تتعرض لها تلك الآيات بالشرح والإيضاح.

فالآيات القرآنية الكريمة كنز لا ينفد من الجمل والعبارات، تمتاز بجمال اللفظ، وحلاوة المعنى، ودقة التعبير، فيها سلاسة ووضوح ليس لهما مثيل، إذ أنها تظهر كالجواهر الوضاءة التى يتلألأ بريقها، فيخطف الأبصار، ويهز المشاعر والوجدان، ولا عجب فى ذلك فهى من كلمات العلى القدير، ينفد [illegible] لو كان مدادًا ولاتنفد، كما توضح الآية الكريمة التالية:

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ ١٠٩ / الكهف

صدق الله العظيم

فى تلك الآيات البينات يستطيع الباحث أن يشبع رغبته فى الحصول على ما تحمله بين ثناياها من معلومات رائعة وإشارات دقيقة لكل ما يحيط بنا من نبات، أو حيوان، أو جماد، كما أن للإنسان فيها نصيب وافر من

البيانات والإيضاحات، فهناك على سبيل المثال الماء الذى ينزل من السماء فيخرج «ثمراتٍ مختلفًا ألوانها»، وهناك الجبال البيض والحمر والغرابيب السود، وهناك «من الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك»، إن كل تلك المخلوقات المتعددة الأشكال والألوان من نبات أو حيوان أو جماد هى من صنع الله سبحانه وتعالى.

كما أن الكواكب والنجوم وغيرها من الأجرام السماوية لها أيضًا نصيب وافر من تلك الآيات، فهناك على سبيل المثال الشمس التى «تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا»، وهناك الأرض وما يرتفع فوق سطحها من جبال يحسبها الإنسان ساكنة «وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ»، وهناك القمر الذى يمدنا بنوره بعد انقطاع ضوء الشمس عنا، كما تقول الآية الكريمة:

﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ ٥/ يونس

صدق الله العظيم

كما أن هناك الأيام والشهور والأعوام، ولكل منها آيات بينات، وهناك تعاقب الليل والنهار، إلى غير ذلك من الظواهر الطبيعية التى يعرفها الإنسان منذ وجوده على سطح الأرض.

وعن سلوكيات الإنسان وعلاقاته بغيره من بنى البشر توجد إرشادات وإيضاحات وقواعد لا حصر لها، وهى لا تقتصر على العلاقات الأسرية بين الأبناء والآباء أو الأزواج والزوجات، بل تمتد إلى خارج هذا المحيط الضيق، لتشمل المجتمع بأسره، فهناك مثلاً: الصدق، والأمانة، والوفاء

بالوعد، وعدم إيذاء الآخرين، والبعد عن النميمة والنفاق، وغيرها من الصفات الذميمة، وكذلك التسامح مع الآخرين، وهى جميعا تؤدى إلى نقاء المجتمع، وصفاء النفوس والأبدان.

والواقع أن هناك دستورًا واضح المعالم لكل تلك العلاقات البشرية التى نمارسها فى حياتنا اليومية العادية، لو استطاع الإنسان تطبيق تلك التعاليم والإرشادات بأمانة، وإخلاص، لاختفت معظم المشاكل والمنازعات التى تضيق بها المحاكم فى عصرنا الحاضر، وقديما قال أحد الحكماء: «لو أنصف الناس لاستراح القاضى».

سوف أستعرض فى كتابى الحاضر كثيرًا من تلك الآيات البينات التى تتناول معظم الموضوعات السابقة، وخصوصا تلك الآيات التى لم يسبق لى الاستدلال بها فى الكتب السابقة، وذلك مع شرح المقصود منها على قدر المستطاع، وهذا هو السبب الأساسى فى اختيار «آيات قرآنية» عنوانا لهذا الكتاب، ففى تلك الآيات البينات كل ما يحتاج إليه الإنسان فى معاملاته اليومية. وفيها ما يدعو إلى الفضيلة ومكارم الأخلاق وحسن المعاملة بين الأفراد أو الجماعات. كما أن فيها أيضا الرد الكافى على بعض الأفاقين الذين ينتمون إلى الإسلام، وما هم من الإسلام فى شىء.

والله ولى التوفيق.

د. محمد رشاد الطوبى

الأستاذ بكلية العلوم بجامعة القاهرة

وعضو مجمع اللغة العربية

القرآن الكريم

﴿ولقد ضَرَبنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل﴾ ٥٨ / الروم

صدق الله العظيم

إن كلمة «القرآن» لها وقع كبير فى نفوس المسلمين جميعًا فى مشارق الأرض ومغاربها، فما أن ترد تلك الكلمة العظيمة مرئية أمام أعيننا، أو مسموعة فى آذاننا، حتى تخشع لذكرها القلوب، وتهتز لها النفوس والأفئدة، وقد وردت تلك الكلمة فى «القرآن الكريم» فى عشرات من الآيات البينات، للدلالة على كتاب الله العظيم، الذى أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا هو المعنى الذى عرفناه وألفناه، طالما كان للقرآن الكريم ذِكْر.

ومع ذلك فإن لكلمة «القرآن» معانٍ ثلاث كما ورد فى «معجم ألفاظ القرآن الكريم» الذى أصدره مجمع اللغة العربية مشكورًا عام ١٩٧٠، المعنى الأول منها هو «القراءة»، فإنك تقول مثلا «قرأت الكتاب قراءةً أو قرآنًا»، والقرآن فى هذه الحالة هو المصدر المشتق من فِعل «قَرَأَ»، واعتمد المعجم فى هذا المعنى على الآية الكريمة التالية:

﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرآنه﴾ ١٨/ القيامة

صدق الله العظيم

أما المعنى الثانى فهـو «الصلاة»، حيث أطلقت عليهـا مجازًا كلمـة القرآن، كما هو واضح فى الآية التالية:

﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ ٧٨/ الإسراء

صدق الله العظيم

وقرآن الفجر هنا إشارة واضحة لصلاة الفجر.

والمعنى الثالث هو المعنى المعروف والمألوف لدى المسلمين جميعًا، وهو كتاب «القرآن الكريم»، وقد ورد ذكره كما ذكرت سابقا فى كثير جدًّا من الآيات البينات، ولعل من أشهر تلك الآيات، وأكثرها ذِكرًا على ألسنة المسلمين جميعًا هى الآية القرآنية التالية، التى تحدد تاريخ نزول القرآن الكريم، وهى التى أوحت إلىَّ بكتابة هذا المقال، بمناسبة شهر رمضـان المبارك، فقد قال الله سبحانه وتعالى:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُـدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَـاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ ١٨٥/ البقرة

صدق الله العظيم

وفى هـذا الشهر المبـارك يُكثر المسلمـون عادة من قـراءة القرآن الكريم، أو الاستماع إليه، ولكل من القراءة أو الاستماع شروط وآداب تجب المحافظة عليها، تطبيقـًا لإرشاداتـه سبحانـه وتعالى، ففيـما يتعلق

بالقراءة علينا ألا نبدأها إلا بعد الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، وهو ما توضحه لنا الآية الكريمة التالية:

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾

٩٨/النحل

صدق الله العظيم

وقوله تعالى أيضا:

﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ ٤/المزمل

صدق الله العظيم

أما فيما يتعلق بالاستماع فعلينا جميعًا أن ننصت لتلاوته خاشعين، حيث يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ ٢٠٤/الأعراف

صدق الله العظيم

فكثيرًا ما نشاهد فى بعض الاحتفالات الدينية التى تقام فى النوادى أو المساجد وأيضا فى السرادقات التى تقام للعزاء، كثيرًا ما نشاهد بعض الحاضرين، وقد تركوا الاستماع جانبًا، وأخذوا يتناقشون بعضهم مع بعض، وبأصوات مرتفعة أحيانًا، مما يتنافى تمامًا مع آداب الاستماع، كما تطلب منا الآية الكريمة السابقة، ويجب علينا إصلاح مثل تلك الهفوات بالإرشاد، والموعظة الحسنة، حتى لا يكون سلوكنا متشابهًا مع سلوك الكفار الذين ورد ذكرهم فى الآية الكريمة التالية:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ﴾ ٢٦/فصلت

صدق الله العظيم

إن القرآن الكريم هو المعجزة الحقيقية التى نزلت على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، فهو النبى الأمىّ الذى لا يعرف القراءة والكتابة، وما كان فى استطاعته على الإطلاق أن يأتى من عنده بمثل تلك الآيات البينات، التى يقول عنها الله سبحانه وتعالى:

﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ ٨٨/الإسراء

صدق الله العظيم

أما الآيات التى تنص بوضوح كامل على أن تلك الكلمات الخالدات، هى من عند الله سبحانه وتعالى، وأنها قد أنزلت على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، هدىً للناس ورحمة، فهى كثيرة نذكر منها على سبيل المثال:

﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا القرآنُ لأُنْذِرَكُمْ بِهِ﴾ ١٩/الأنعام

﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى القرآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ ٦/النمل

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ القرآنَ تَنْزِيلًا﴾ ٢٣/الإنسان

صدق الله العظيم

وهناك أيضًا آيات كثيرة يوضح لنا الله سبحانه وتعالى فيها عديدًا من الأوصاف والميزات التى ينفرد بها القرآن الكريم عن غيره من الكتب السماوية الأخرى، ومنها على سبيل المثال:

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ٣/الزخرف

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ ٦٩/يس

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ ٥٨/الروم

﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾
٢١/الحشر

صدق الله العظيم.

ولذلك فإن جميع المسلمين على اختلاف أجناسهم وألوانهم يعتزون بهذا القرآن الكريم، الذى يوضح لكل الناس، أن أمة محمد عليه الصلاة والسلام هى خير أمة أخرجت للناس، وأن الحفاظ عليه وصيانته من كل تحريف أو تزوير، هو من أوجب الواجباتِ على المسلمين كافة فى مشارق الأرض ومغاربها، حتى يبقى سليمًا نقيًّا، خالصًا من كل شائبة، كما أراد الله سبحانه وتعالى إلى يوم الدين.

لقد مضت منذ نزول القرآن الكريم على سيدنا محمد عليه السلام مئات السنين والأعوام، وطبعت منه ملايين النسخ فى مختلف بلاد العالم العربى، ولم يتغير منه حرف واحد، كما حدث لبعض الكتب السماوية الأخرى، التى ألم بها بعض التعديل أو التحريف، عن قصد أو غير قصد، ولكن لم يحدث للقرآن الكريم حتى يومنا هذا شىء من هذا القبيل، وبقيت كلماته وآياته جلية وضاءة، تنير لنا السبيل، وتبعث فينا الرجاء والأمل، إذ أن الله سبحانه وتعالى كان له الحافظ الأمين، فقد أنزله على سيد المرسلين، ثم تعهد بحفظه

وصيانته إلى يوم يبعثون.

ومهما أوتيت من قوة التعبير، أو دقة البيان، فإنى لا أستطيع أن أوفى القرآن الكريم ما يستحق من المدح والثناء، فهناك علماء الدين الذين هم بطبيعة الحال أقدر منى على القيام بهذا الواجب المقدس، وكل ما أردته فى تلك الكلمات القلائل، هو استعراض بعض الآيات البينات التى وردت بها كلمة «القرآن»، كما يتضح من عنوان هذا المقال، تحية منى لهذا الشهر المبارك، شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن، والذى ينتظره المسلمون جميعًا فى كل أنحاء العالم الإسلامى، راجيًا من الله سبحانه وتعالى، أن يوحد كلمتهم بعد فرقة وتنابذ، وأن يجمع شملهم بعد تشتت وعداء، إنه على كل شىء قدير.

دواب الأرض

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ ٦/هـود

صدق الله العظيم

يحتوى القرآن الكريم بين دفتيه على كثير من الآيات البينات التى تشير بشكل واضح وصورة ملموسة إلى المخلوقات العديدة التى تحيط بالإنسان فى كل مكان وزمان، والتى تجعل من الأرض التى تعيش عليها معرضًا منقطع النظير لألوان من الحياة الحيوانية أو النباتية على حد سواء، وتعتمد كل تلك الألوان والأشكال والأنواع فى بقائها وانتشارها على الماء الذى يهبط عليها من السماء مصداقًا لقوله سبحانه وتعالى:

﴿وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾

٦٥ / النحل

صدق الله العظيم

فحياة الأرض التى يعيش عليها الإنسان هى فى حياة تلك المخلوقات من نبات أو حيوان.

فإذا تناولنا الحيوانات الأرضية بالشرح والإيضاح نجد أن الله سبحانه

وتعالى قد وهب لكل منها نوعًا من الحياة يضمن لها النمو والبقاء، ومنافسة الحيوانات الأخرى التى تشاركها العيش على سطح الأرض، فهى قادرة على البحث عن الغذاء والابتعاد عن الأخطار التى تهددها أو الأعداء الذين يتربصون بها، فقد أتيحت لها وسائل الدفاع عن النفس بالقدر الذى أتيحت به مصادر الغذاء، وقد نتلمس مثل تلك المعانى الرائعة فى الآية الكريمة التالية:

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ٦ / هود

صدق الله العظيم

و«المستقر» هو المكان الذى استقرت فيه كل واحدة من تلك الدواب، هذا مع العلم بأن كلمة «الدابة» - كما جاء فى المعجم الوسيط - هى كل ما يدب على الأرض، فجميع الحيوانات الأرضية على اختلاف أشكالها وأحجامها هى من «الدواب»، ولعل أصغرها حجمًا - ولكن ليس أقلها شأنًا - هو النمل والنمل الأبيض، ولكل منها قصة طريفة فى القرآن الكريم.

وأولى هاتين القصتين هى التى ورد ذكرها فى الآية الكريمة التالية:

﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ١٨/النمل

صدق الله العظيم

ولما كان سيدنا سليمان عليه السلام على معرفة بلغة الطير والحيوان فقد استطاع تبيان حديث تلك النملة لرفاقها من جماعات النمل وتحذيرها لهم، حيث تستطرد الآية التالية بعد ذلك.. ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا﴾ صدق الله العظيم.

والواقع أن النمل يعيش فى مستعمرات على أكبر جانب من الرقى والتخصص، حيث تعيش مختلف أفراد الجماعة داخل المستعمرة الواحدة ولكل منهم وظيفة محددة يؤديها لخدمة المجتمع بأكمله، وتكون الأغلبية العظمى من تلك الأفراد من العمال أو الشغالة التى تكد وتشقى للقيام بجميع الأعمال المدنية التى تهدف إلى بقاء المستعمرة ونموها، ومن تلك الأعمال على سبيل المثال: جمع الغذاء، وتخزينه فى مستودعات تحت الأرض لاستخدامه فى وقت الجفاف، ورعاية صغار النمل، وتغذيتها، والحفاظ عليها، وتنظيف مختلف أجزاء المستعمرة وما تحتوى عليه من الحجرات أو المساكن التى يستقر النمل بداخلها أو الدروب والممرات التى يسلكها فى غدوه، ورواحه فى رحلات جمع الغذاء، وغير ذلك من الأعمال المنزلية.

وهناك أيضًا الجنود أو المقاتلون، ولهم رؤوس ضخمة وفكوك قوية أعدت خصيصًا للدفاع عن المستعمرة من كل اعتداء يقع عليها، أو على الأفراد المقيمين فيها، وهناك أيضا الملكات (الإناث الخصيبة) التى تبدأ كل منها بتكوين المستعمرة الخاصة بها، وعدد محدود من الذكور تقتصر

وظيفتهم على إخصاب الملكات، فتنتج من النمل ما يكفى لنمو المستعمرة عدديا وتعويض ما يفقد من أفرادها نتيجة للموت أو الفناء.

أما القصة الثانية فتتعلق بمجموعة أخرى من الحشرات يطلق عليها أحيانا اسم «النمل الأبيض»، ولكنها فى واقع الأمر ليست من النمل فى شىء، بل هى رتبة أخرى من الحشرات التى تتغذى على الأخشاب بكافة أنواعها، وأيضًا على المنتجات الخشبية، فهى تنخر فيها من الداخل تدريجيًا حتى تلتهمها تمامًا، ولا يبقى منها سوى القشرة الخارجية الرقيقة التى تحجب تلك الحشرات عن الضوء، وذلك لأنها لا تعيش إلا فى الظلام، ونظرًا لتلك الطبيعة الغذائية فقد أطلق عليها اسم «الأرضة»، وكانت الأرضة معروفة عند العرب، حيث وصفت بأنها «دويبة بيضاء تشبه النملة»، وقد اشتق اسمها من فعل «أرض»، وجاء فى المعجم الوسيط ما يلى: «أرضت الأرضة الخشب أرضًا أكلته».

وقد ورد ذكرها فى القرآن الكريم تحت اسم «دابة الأرض» كما يتضح من الآية التالية:

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ﴾ ١٤ / سبأ

صدق الله العظيم

والمنسأة هى العصى الغليظة التى تكون مع الراعى، والمقصود بتلك الآية الكريمة هو سيدنا سليمان عليه السلام، وقد أدركه الموت وهو واقف

على قدميه ومرتكز على عصاه، وظل فى وقفته ردحًا من الوقت حتى انتهت «الأرضة» من التهام تلك العصى. إذ أنها كانت تنخر فيها من الداخل حتى أتت عليها، وسرعان ما سقط على الأرض حيث عرفت وفاته بعد ذلك.

وقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يلفت أنظارنا إلى أهمية تلك المخلوقات، وإلى أن لكل منها مجتمعًا خاصًا بها يتشابه مع المجتمعات البشرية فكانت الآية الكريمة التالية:

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ ٣٨/الأنعام

صدق الله العظيم

والواقع أن النمل والأرضة (دابة الأرض) اللتين ورد ذكرهما فى الآيات السابقة من الحشرات التى «تعيش فى مستعمرات متكاملة ومتعاونة مما جعل علماء الحشرات يطلقون عليها اسم «الحشرات الاجتماعية» (social insects)، وتشترك معها فى تلك الظاهرة جماعات النحل الذى يعيش فى مستعمرات مشابهة، وقد تكلمت عن ذلك بالتفصيل فى كتاب سابق لى عنوانه «طبائع النحل» أصدرته «المكتبة الثقافية» (العدد رقم ١٠٢ - ١٩٦٤).

ولم تقتصر الآية السابقة على «دواب الأرض» بل امتدت أيضًا إلى «طيور السماء» حيث وصفتها هى الأخرى بأنها «أمم أمثالكم»، ويعرف



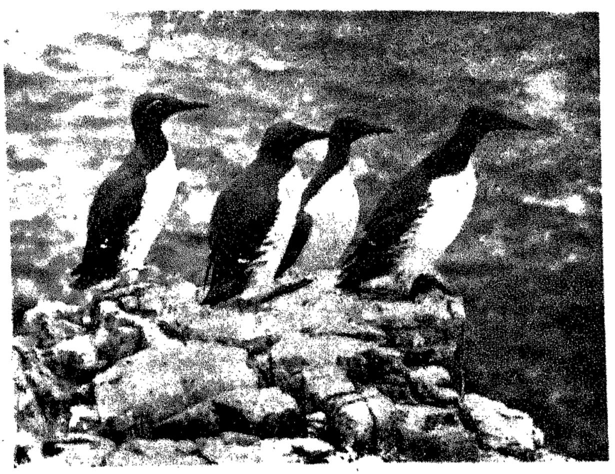
شكل (١)
البشاروش من الطيور المهاجرة

المختصون بدراسة الطيور أن لها جماعاتها الخاصة التى تعيش فى نظام دقيق وحياة منسقة، وتتضح تلك الحياة الجماعية أكثر ما تتضح عند الطيور المهاجرة فى مواسم هجرتها، وعند الطيور البحرية فى مواسم تكاثرها.

وتقطن الطيور المهاجرة أساسًا المناطق الشمالية من نصف الكرة الشمالى فى قارات أوروبا وآسيا وأمريكا الشمالية، وعند حلول فصل الشتاء حيث تكتسى الأرض بالجليد، ويصبح الغذاء نادرًا، تندمج تلك الطيور فى جماعات كبيرة تحتوى كل منها على آلاف مؤلفة من الأفراد، ثم تبدأ تلك الأسراب هجرتها السنوية إلى الجنوب، حيث يكون الجو أكثر دفئًا والغذاء أكثر وفرةً وتنوعًا، وهى تمضى هناك فى تلك الأقاليم الجنوبية الدافئة فصل الشتاء، ثم تعود بعد ذلك إلى أوطانها، وقد امتلأت شحمًا ولحمًا وأصبحت مستعدة للتكاثر، ومن أشهرها البشاروش (شكل ١).

ومن أهم الطيور البحرية التى تندمج فى جماعات كبيرة أثناء موسم التكاثر الطيور المسماة «طيور البطريق» وهى طيور بحرية فقدت القدرة تمامًا على الطيران، وتحورت أجنحتها إلى زعانف تستخدمها فى السباحة داخل الماء، وهى تقضى معظم وقتها فى البحر حيث تشارك الأسماك فى مسابحها، كما تعتبر الأسماك البحرية غذاءها الرئيسى، وفى موسم التكاثر تترك طيور البطريق بيئتها المائية وتصعد إلى اليابسة فى القارة القطبية الجنوبية، ويكون صعودها إلى تلك الأرض التى يكسوها الجليد طول العام فى جماعات كبيرة، وهنا تضع تلك الطيور بيضها حيث يتبادل

حضانته كـل من الذكـر والأنثى فى تعاون وثيق، وبعـد فقس البيض، وانتهاء موسم التكاثر تعود جميع تلك الطيور (كبيـرها وصغيـرها) إلى البحر لاستئناف حياتها من جديد وقد ضمنت تلك المعلومات وغيرها فى كتاب أصدرته لى «دار المعارف» فى سلسلة «كتابك» وعنـوانه «حيـاة الطيور» (رقم ١٦٦ عام ١٩٨٤) وإنى أذكره هنـا لمن أراد مزيـدًا من المعلومات.



شكل (٢)
البطريق من طيور البحار الجنوبية

ونعود بعد ذلك مرة أخرى إلى «دواب الأرض» التى ورد ذكرها فى الآيات السابقة، فهى فى واقع الأمر لا تقتصر على تلك الدويبات الصغيرة «كالأرضة» التى أكلت عصا سيدنا سليمان، أو «النملة» التى خاطبت أقرانها لتحذيرها من خطر كان يقترب، بل أن هناك أيضًا أنواعًا كثيرة كبيرة الحجم سخرها الله سبحانه وتعالى لخدمة الإنسان كما يتضح من الآيتين الكريمتين التاليتين:

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ ٨/النحل

﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ٥/النحل

صدق الله العظيم

والنعم وجمعها نعمان وأنعام كما جاء فى معظم ألفاظ القرآن الكريم الذى أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٧٠ تطلق فى الأصل على «الإبل»، كما أنها تطلق أيضا على «الإبل والبقر والغنم» على التوسع، وهى جميعا كما هو معروف من «ذوات الأربع» أى أنها تمشى على أربعة أرجل، وقد أشار إليها القرآن الكريم مرة أخرى فى تلك الآية الكريمة التى تتعلق بالحركة والانتقال من مكان إلى مكان وهى:

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

٤٥/النور

وليس هناك بين جميع المخلوقات من يمشى على رجلين مشيًا

صحيحًا وحقيقيا ومتوازنًا سوى الإنسان الذى وضعه الله سبحانه وتعالى على رأس المخلوقات جميعا، فهو يسير على قدميه معتدل القامة مرفوع الرأس بطريقة لا يدانيها أى مخلوق من المخلوقات الأخرى على الإطلاق، وهو ما تشير إليه الآية الكريمة:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ٤/التين

صدق الله العظيم

وآية أخرى فى نفس المعنى وهى: ﴿الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ ٧/الانفطار

صدق الله العظيم

وهو ما يوضح بطريقة لا تدعو إلى اللبس أو الغموض إلى حسن القوام واعتدال الجسم كما هو مشاهد وملموس، وقد اختار الله سبحانه وتعالى لبنى الإنسان «أحسن تقويم» تكريمًا له وتمييزًا عن باقى المخلوقات على اختلاف أنواعها وأشكالها التى لا يكاد يدركها حصر ولا عد.

وقد أدت استقامة القامة وارتكاز الجسم على رجلين اثنتين بدلا من أربعة أرجل (كما فى باقى الدواب والأنعام التى خلقها الله سبحانه وتعالى).

أدت تلك العملية إلى تحوير الرجلين الأماميتين، حيث تحورتا إلى ذراعين يستخدمها الإنسان فى مختلف الأعمال والأغراض، ولعل من أهم تلك التحورات انزلاق الإبهام ليصبح فى مواجهة الأصابع الأخرى، حيث

يستطيع الإنسان عن طريق تلك اليد القابضة الإمساك بمختلف الآلات والأدوات.

ويعزى كثير من العلماء تفوق الإنسان وتقدمه فى العلوم والفنـون، وإتقانه لكثير من الحرف اليدوية التى تحتاج إلى مهارات عالية، ونجاحه فى ولوج الميادين الزراعية والصناعية وغيرها، يعزون كل تلك القدرات إلى امتلاكه لتلك اليـد القابضـة التى يقع فيهـا «الإبهام» فى مـواجهة الأصابع الأخرى فى اليد.

الإنسـان

﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ ٤/الرحمن

صدق الله العظيم

تحـدثت فى الفصل السـابق عن دواب الأرض وأهميتهـا فى حيـاة الإنسان، موضحًا، أنها تبدأ من النملة الصغيرة إلى غيرها من الحيوانات الضخمة حتى الإنسان العاقل، فكلها من المخلوقات التى تدب على سطح الأرض، تأكل من رزق الله وتسبح بحمده، وقد ورد فى القرآن الكريم ما يستدل منه على أن هذا الإنسان العاقل إن هو إلا أحد تلك الدواب كما فى الآية الكريمة التالية:

﴿وَلَـوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النـاسَ بِظُلْمِهِمْ مَـا تَرَكَ عَلَيْهَـا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ ٦١/النحل

ولكن الله سبحانه وتعالى قد ميز الإنسان العاقل بالفطنة والذكـاء، وجعل له من قدراته العقلية والجسدية ما يتفوق به على سائر المخلوقات، حتى أصبح بفضل من الله وحكمة، سيد المخلوقات جميعًا دون منازع، وأصبحت له السيطرة الكاملة على مجريات الأمور فى هذا العالم المتسع الأرجاء.

وليس أدل على تلك المنزلة الرفيعة من أن الله سبحانه وتعالى قد جعل من آدم (أبى البشر) خليفة له فى الأرض، حيث يقول سبحانه وتعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾

٣٠/البقرة

صدق الله العظيم

ولم تقتصر الآيات القرآنية الكريمة على لفظ «الإنسان» فحسب، بل هناك آيات أخرى كثيرة تتحدث عن الناس والبشر، كما توضح فيما يلى:

إن لفظ «الإنسان» يطلق على كل من الذكر والأنثى من بنى آدم كما ورد فى «معجم ألفاظ القرآن الكريم» الذى أخرجه مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وصدرت طبعته الأولى سنة ١٩٧٠ (ألف وتسعمائة وسبعين) وقد ورد هذا اللفظ بدون أداة التعريف مرة واحدة فى القرآن الكريم، وذلك فى قوله سبحانه وتعالى:

﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِى عُنُقِهِ﴾ ١٣/الإسراء

صدق الله العظيم

أما مع أداة التعريف فقد ورد ذكره فى كثير من الآيات البينات نذكر منها على سبيل المثال:

﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ ٨/العنكبوت

﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ ٣/القيامة

﴿يَقُولُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرّ﴾ ١٠/القيامة

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ ٣٥/النازعات

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ ٣، ٤/الرحمن

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ ١٩/المعارج

صدق الله العظيم

وعدد هذه الآيات البينات إحدى وستون آية (٦١)، كما ورد فى معجم ألفاظ القرآن الكريم، تضاف إليها ثلاث آيات أخرى (٣) المقصود فيها بلفظ الإنسان هو آدم عليه السلام، وتلك الآيات الثلاث هى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ ٢٦/الحجر

﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ ٧/السجدة

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ ١٤/الرحمن

صدق الله العظيم

ومعنى ذلك أن هناك أربعًا وستين (٦٤) آية ورد فيها لفظ «الإنسان» معرفًا، كما ورد فى معجم ألفاظ القرآن الكريم.

يضاف إلى تلك الآيات السابقة ست آيات أخرى (٦) ورد فيها لفظ «الإنسان» مجرورًا باللام، كما فى قوله تعالى:

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ٥/يوسف

صدق الله العظيم

ولما كانت كلمة «الناس» تطلق كما هو معروف على «الجماعة من

الإنسان» فلابد لنا من التعرف على ورود هذا اللفظ فى القرآن الكريم، وخصوصا أنه أكثرُ الألفاظ دلالة على بنى البشر، إذ أنه ورد فى مختلف الآيات القرآنية مائتين وأربعين مرة (٢٤٠)، نذكر منها على سبيل المثال الآيات التالية:

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ ٤٤/البقرة

﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ ٢٤/البقرة

﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾
٨٥/الأعراف

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَارَيْبَ فِيهِ﴾ ٩/آل عمران

﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ ٥٨/النساء

صدق الله العظيم

فإذا انتقلنا بعد ذلك إلى لفظ آخر يدل على الإنسان وهو «البشر» لوجدنا أنه ورد كثيرًا فى القرآن الكريم، ومن أمثلة الآيات التى ورد فيها هذا اللفظ الآيات التالية:

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾
٤٧/آل عمران

﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ﴾ ٣٣/الحجر

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ ١١٠/الكهف

الذكر والأنثى

﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ ٤٩/الشورى

صدق الله العظيم

لست فى حاجة إلى القول: إن الإنسان أو الناس أو البشر منهم الذكر ومنهم الأنثى. ولولا وجودُهما معًا لما استمرت الحياة على ظهر هذه الأرض من عهد آدم إلى يومنا هذا، وكانت الأقوام فى العهود الغابرة وخصوصًا أيام الجاهلية الأولى يفضلون الذكر على الأنثى، وربما كان هذا الشعور العدائى نحو ولادة الأنثى من رواسب المعتقدات القديمة التى توارثها الإنسان جيلاً بعد جيل. فقد عُرف مثلًا أن العرب فى الجاهلية أى قبل ظهور الإسلام كانوا يعتبرون ولادة الأنثى كارثة تتخلع لها قلوبهم، وليس أدل على ذلك من الوصف الذى أورده القرآن الكريم بهذا الخصوص، كما يتضح من الآية الكريمة التالية:

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ، أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فى التُّرابِ﴾

٥٨، ٥٩/النحل

صدق الله العظيم

وكان العرف السائد حينئذ هو التخلص من المولودة الأنثى، وكأنهم يتخلصون من داء وبيل، وكان مبعث هذا الشعور هو الخوف مما قد ترتكبه تلك الأنثى من الفساد عند ما تشب وتنضج، أو من وقوعها فى الأسر فى أيدى أعدائهم، حيث كانت القبائل البدوية فى حروب شبه مستمرة.

وكانت القبيلة المنتصرة تأخذ الأسلاب من ممتلكات القبيلة المهزومة، كما كانت تأخذ نساءها أسرى حرب أو سبايا، ولذلك كانوا يتخلصون من الأنثى بعد ولادتها مباشرة بدفنها حية فى التراب، مما كان سببًا فى نزول الآية الكريمة التالية:

﴿وَإِذَا الموءُودَةُ سُئِلَت * بِأَىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ ٨، ٩/التكوير

صدق الله العظيم

ولم يكن الانزعاج من ولادة البنت مقصورًا على الرجال وحدهم، بل يتعداهم إلى النساء أيضًا، وقد نتلمس شيئًا من هذا القبيل فيما ورد ذكره فى القرآن الكريم عن «امرأة عِمران» فى الآية الكريمة التالية:

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾ ٣٦/آل عمران

صدق الله العظيم

ثم تستمر بعد ذلك فى مخاطبة المولى عز وجل قائلة:

﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى﴾ ٣٦/ آل عمران

صدق الله العظيم



شكل (٣)
الذكر والأنثى فى دنيا الفراشات

وقد نستشف من ذلك أنها غيرُ قانعة تماما بتلك المولودة، أو أنها غير راضية عنها، وإن لم يرد ذلك صراحة فى تلك الكلمات، بل إنها كانت تفضل المولود الذكر لأنه فى عرفها أفضل من الأنثى

وقد تلاشت تمامًا تلك الأفكار القديمة فى عصرنا الحاضر، أو كادت، ولم يعد هناك أىُّ تمييز أو تفضيل بين الذكر والأنثى فى مضمار الحياة، مصداقًا لقوله سبحانه وتعالى:

﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ ٤٩/الشورى

صدق الله العظيم

الأساس العلمى للذكورة والأنوثة:

إن ولادة الذكور أو الإناث تسير فى نظام محدد ثابت منذ بدء الخليقة إلى الآن، فقد وضع الله سبحانه وتعالى فى حساباته الدقيقة أن تكون ولادة الذكور مساوية تمامًا لولادة الإناث. فلا يطغى أحدهما على الآخر عدديا، مما قد يؤدى إلى اختلال فى موازين الوجود والبقاء على سطح الأرض.

وتدل جميع الإحصائيات فى مختلف بلاد العالم أن عدد الذكور مساوٍ تقريبا لعدد الإناث. ومع ذلك فقد وجد مثلاً أن هناك بعض العائلات التى تلد نساؤها ذكورا أكثر من الإناث، وهناك عائلات أخرى تلد نساؤها إناثًا أكثر من الذكور، ولكن المجموع الكلى للذكور يكون مساويا لمجموع الإناث فى نفس هذا المجتمع.

وعلى أية حال فقد ثبت علميًّا في الوقت الحاضر أن المرأة غيرُ مسئولةٍ إطلاقا عن ولادة الذكور أو الإناث. وذلك لأن جميع البويضات (ova) التى تخـرج من المبيض – والتى يتكـون منهـا الجنين بعـد إخصابها – من نوع واحد فقط، وهذا النوع الوحيد من البيض قادر على إنتاج الذكور أو الإناث، فهو يحتوى بداخله على نوع واحد فقط من الصبغيات الجنسية أو الكروموسومات (Chromosomes) يـطلق عليه اسم الكرومـوسوم السينى (س)، ويـرمز لـه باللغـات الأجنبية بالحرف (X).

أما الماء الدافق الذى «يخـرج من بين الصلب والترائب» فهـو يحتوى على خلايا جنسية من نوعين مختلفين، يحمل أحدهما بداخله الكروموسوم السينى (س)، بينما يحمل النوع الثانى كروموسوما جنسيًّا آخر هو الكروموسوم الصادى (ص) ويرمز له باللغات الأجنبية بالحرف (Y).

إن هذه الخلايـا الجنسية دقيقـة الحجم تمامًـا إذا قورنت بحجم البويضة، ويوجد منها ما يقرب من الثلاثمائة مليون فى الدفقة الواحدة، وعند وصولها إلى داخل الرحم فإنها تتسابق جميعا نحو البويضة – إن وجدت – لإخصابها، تدفعها في ذلك قوة غامضة يطلق عليها العلماء اسم «التوجه الكيميـائى» (Chemotaxis)، ويكون الفـوز للمتسابق الأول الذى يصل إلى البويضة قبل غيره، إذ أنه يندمج معها تمـامًا،

ويقال للبويضة عندئذ إنها قد أخصبت. ولما كانت تلك الخلايا الجنسية توجد بأعداد متساوية تمامًا، تكون الفرصة سانحة لأى من النوعين (س) أو (ص) لكى يؤدى إلى إخصاب البويضة.

وبذلك يكون هناك احتمالان فقط لا ثالث لهما:

الاحتمال الأول:

بويضة +	حيوان منوى	عملية ← الإخصاب	بويضة مخصبة
س	س		س س

ويكون المولود انثى

الاحتمال الثانى:

بويضة +	حيوان منوى	عملية ← الإخصاب	بويضة مخصبة
س	ص		س ص

ويكون المولود ذكرا

وتبعا لقانون الاحتمالات يكون نصف المواليد (٥٠٪) من الأولاد، والنصف الآخر من البنات، وهو ما يشاهد فى مختلف بلاد العالم بصفة عامة.

وأحب أن أنوه هنا، إن بعض علماء الوراثة قد قاموا بعدة محاولات للتحكم فى جنس الجنين فى الإنسان، وكانت آخر هذه المحاولات

تعتمد على فصل الحيوانات المنوية المنتجة للذكور (وهى الحـاملة للكروموسوم ص) عن تلك المنتجة للإناث (وهى الحاملة للكروموسوم س) بعد تكوينها داخل الخصية، ثم إتاحة الفرصة للنوع الأول منها لإخصاب البويضة دون النوع الثانى. وذلك فى حيـوانات التجـارب، تمهيدًا لاستخدامها بعد نجاحها فى حالة الإنسان، ولكن لم يكتب لمثل تلك المحاولات أى نجاح على الإطلاق، ويظل الأمر كله فى يد الخالق العلى القدير، كما تحدثنا الآية الكريمة:

﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾

٤٩ / الشورى

صدق الله العظيم

مراحل العمر

الطفل، الصبى، الغلام:

إن كل هؤلاء المواليد سواء كانوا من الذكور أو الإناث يمرون خلال حياتهم بمراحل متعددة لكل منها فى القرآن ذكر، وأول هذه المراحل هى مرحلة الطفولة، ولم يرد لفظ «الطفل» فى القرآن الكريم إلا بمعنى الوليد (كما هو واضح من معجم ألفاظ القرآن الكريم). ومن ذلك على سبيل المثال الآية الكريمة التالية:

﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾
٦٧/ غافر

صدق الله العظيم

وآية أخرى مماثلة:

﴿ونُقِرُّ فِى الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثم نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾
٥ / الحج

صدق الله العظيم

ثم يأتى بعد ذلك الصبى، وقد عُرِّفَ فى «المعجم الوسيط» بأنه الصغير

دون الغلام، أو من لم يفطم بعد، وعرف فى معجم ألفاظ القرآن الكريم بأنه «من لم يبلغ الحُلُم»، وقد وردت عنه فى القرآن الكريم آيتان فقط، إحداهما هى الآية الكريمة التالية:

﴿يَا يَحْيَى خُذِ الكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْم صبِيًّا﴾ ١٢/مريم

صدق الله العظيم

هناك بعد ذلك الغلام، وقد عرف فى معجم القرآن الكريم والمعجم الوسيط بأنه «الصبى من حين يـولد إلى أن يشب»، ووردت عنـه فى القرآن الكريم عدة آيات نذكر منها على سبيل المثال:

﴿قَالَ يا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ﴾ ٤٠ / آل عمران

﴿فَبَشَّرْناهُ بِغُلام حَليمٍ﴾ ٧/ مريم

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلامًا فَقَتَلَهُ﴾ ٧٤/ الكهف

صدق الله العظيم

النضج الجنسى:

أما بعد بلوغ الحُلُم أو بعد مرحلة البلوغ فيكون هناك تمييز واضح بين الذكر والأنثى، أو بين الرجل والمرأة نتيجة لظهور ما يعرف «بالصفات الجنسية الثانوية»، وتنتج هذه الصفات بتأثير هرمونات معينة تفرزهـا الخصية عند الرجال أو المبيض عند النساء.

فالمعروف أن الصبى أو الغلام عندما يقترب من سن البلوغ أو عند

اجتيازها تظهر عليه عدة تغييرات جسدية منها على سبيل المثال عمق الصوت وخشونته نتيجة لنمو الحنجرة والأحبال الصوتية، وخشونة الجلد بعد أن كان ناعم الملمس كجلد الفتيات، ثم البدء فى نمو الشعر على الوجه لتكوين الشارب واللحية، ونمو عضلات الجسم وتضخمها وخصوصا عضلات الأذرع والسيقان، ولا يكون هناك تركيز لتوزيع المواد الدهنية تحت الجلد فى الصدر وعند الأرداف كما هى الحال عند الإناث.

أما الفتاة الصغيرة فمن أظهر صفاتها الجنسية الثانوية نمو الأثداء بطريقة تؤهلها للقيام بوظيفتها المستقبلية، وهى إدرار اللبن لإرضاع المولود، وكذلك توزيع المواد الدهنية تحت الجلد بصورة تؤكد أنوثة الأنثى. وخصوصًا عند الأرداف. وهو ما يعنيه الشاعر بقوله:

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة لا يشتكى قصر منها ولا طول

أى أنها نحيفة البطن ممتلئة العجز مما يجعلها فى صورة تختلف تمامًا عن صورة الرجل. كما يجعلها قادرة على حفظ توازن الجسم عند الحمل.

هذا بالإضافة إلى نعومة فى الصوت، فلا يختلف كثيرًا عن صوت الطفل، ونعومةٍ فى الجلد فيظل ناعم الملمس، ولا تدركه الخشونة الموجودة فى جلد الرجال.

وفى القرآن الكريم آيات كثيرة ذكر فيها كل من الرجل أو المرأة على حدة، نذكر منها على سبيل المثال:

﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ ٧٨/ هود

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾ ٢٠ / القصص

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ ٢٨ / غافر

﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾

٢٥ / المؤمنون

صدق الله العظيم

أما المرأة فقد ورد ذكرها فى القرآن الكريم للدلالة على الأنثى من بنات آدم، كما فى قوله تعالى:

﴿إِنِّى وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُم وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ ٢٣ / النمل

صدق الله العظيم

ولكن الأغلب والأعم هو ورودها بمعنى الزوجة، وتكون مقرونة باسم زوجها، كما فى الآيات التالية:

﴿إِذْ قَالَت امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّى نذرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى﴾

٣٥ / آل عمران

﴿وَقَالَ نِسْوةٌ فِى المدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾

٣٠ / يوسف

﴿وَقَالتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عينٍ لِى وَلَكَ﴾ ٩ / القصص

صدق الله العظيم

الكهل والشيخ:

ويصل كل من الرجل والمرأة إلى دور الكهولة، ويطلق لفظ الكهل كما جاء فى معجم ألفاظ القرآن الكريم على من جاوز الثلاثين إلى نحو الخمسين ووخطه الشيب، وقد ورد هذا اللفظ فى القرآن الكريم فى آيتين فقط فى معرض الحديث عن عيسى عليه السلام:

﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾

٤٦ / آل عمران

﴿إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فى الْمَهْدِ وَكَهْلاً﴾

١١٠ / المائدة

صدق الله العظيم

أما الشيخ فتعريفه فى معجم ألفاظ القرآن الكريم «من الخمسين إلى آخر عمره، وقيل إلى الثمانين». وقد ورد هذا اللفظ فى القرآن الكريم ثلاث مرات فقط فى الآيات التالية:

﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾ ٧٢ / هود

﴿لاَنسْقِى حَتَّى يُصْدرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ ٢٣ / القصص

﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدكم ثُمَّ لِتكُونُوا شُيُوخًا﴾ ٦٧ / غافر

صدق الله العظيم

أبيض وأسود

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ﴾

٢٨ / فاطر

صدق الله العظيم

نعرف جميعا أن آدم عليه السلام وزوجته حواء كانا يعيشان فى الجنة، ولكنهما استمعا إلى وسوسة الشيطان، وأكلا من الشجرة المحرمة، فطردا من الجنة كما توضح الآية الكريمة التالية:

﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُم لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ ١٢٣ / طه

صدق الله العظيم

ومنذ ذلك التاريخ السحيق وأبناؤهما يضربون فى مجاهل الأرض، من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب، حتى امتلأت بهم الدنيا على سعتها، وأصبحوا يبلغون الخمسة آلاف من الملايين على وجه التقريب، كما أصبحوا شعوبا وقبائل، يتباينون فى صفاتهم وطبائعهم، كما يتباينون أيضًا فى لغاتهم وألوانهم، كما توضح الآية الكريمة التالية:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾

٢٢ / الروم

صدق الله العظيم

المقصود «بالألسنة» هنا هو «اللغات» التى يتكلم بها بنو البشر فى مختلف أرجاء العالم، كما هو معروف. وقد أشرت فى حديثى السابق إلى أن اللغة إن هى إلا أصوات ينطق بها اللسان، فتستقبلها الأذن وتدرك المقصود منها، وأن الإنسان يتعلم فى طفولته جميع الكلمات التى ينطق بها كل من حوله من البشر، أى أنه يتعلم اللغة تعليمًا، ولا يولد على معرفة بها على الإطلاق.

ولذلك فإن الطفل الصغير المصاب بالصَمم لا يستطيع سماع الأصوات أو الكلمات التى نتبادلها فيما بيننا، ولذلك فإنه يصبح فيما بعد من البُكم الذين لا يتكلمون، ونستطيع أن نتلمس العلاقة بين الصَمم والبكم فى كثير من الآيات القرآنية الكريمة، ومنها مثلا:

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ ١٨ / البقرة

﴿وجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُم تَشْكُرُونَ﴾

٧٨ / النحل

صدق الله العظيم

أما الألوان فالمقصود بها على الأرجح لون الجسم من بياض أو سمرة أو سواد أو غيرها، وقد وردت فى القرآن الكريم عدة آيات تدل على اللون عمومًا، منها على سبيل المثال:

﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾

٦٩ / النحل

﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثمرَاتٍ مُخْتلفًا أَلْوَانُهَا﴾ ٢٧ / فاطر

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَالَوْنُهَا﴾ ٦٩ / البقرة

صدق الله العظيم

وسوف اقتصر هنا فى كلامى على لون الإنسان دون الألوان الأخرى، ففى الأقاليم الشمالية الباردة حيث تكون أشعة الشمس ضعيفة نسبيًا، ويكون عدد الأيام المشمسة قليلاً على مدار العام، نجد أن الجلد لا يحتوى إلا على كمية قليلة من صبغ الميلانين[١] (Melanin) مما يؤدى إلى بياض البشرة وإلى وجود العيون الزرق والشعر الأصفر، كما هى الحال فى البلاد الإسكندينافية على سبيل المثال.

فإذا انتقلنا نحو الجنوب نجد أن لون الجلد والشعر والأعين يزداد سمرة بالتدريج حتى نشاهد اللون الأسود الداكن فى المناطق الاستوائية، وهى المناطق التى لا تكاد تغيب عنها الشمس طول العام، كما تكون الأشعة الضوئية فى أعلا معدلاتها قوة وانتشارًا، وهو ما يوضح لنا أن كمية الصبغ الأسود الموجود فى جلد الإنسان يتناسب تناسبًا طرديًا مع كمية الأشعة الضوئية التى يتعرض لها فى حياته اليومية.

والواقع أن صبغ الميلانين له أهمية قصوى فى حماية أنسجة الجلد اللينة

---

(١) الميلانين صبغ أسود أو بنى داكن يستقر داخل الجلد عند قاعدة البشرة فى خلايا خاصة تسمى «خلايا الميلانين».

من التأثيرات المدمرة «للأشعة فوق البنفسجية» الموجودة فى الشمس، ولذلك تتكون من هذا الصبغ طبقة داكنة تمنع وصول تلك الأشعة إلى داخل الجلد، ولذلك تكون هناك اختلافات واضحة فى كمية الميلانين الموجودة فى الجلد فى مختلف السلالات البشرية تبعًا للبيئات التى تعيش فيها كل من تلك السلالات.

ويتضح من ذلك أن اللون الأسود نعمة لا نقمة، وحسنة لا سيئة، قدرها الله سبحانه وتعالى لعباده الذين يعيشون فى أقاليم قد تتعرض فيها جلودهم، وبالتالى أنفسهم للهلاك بفعل أشعة الشمس، فالمعروف أن الجلد هو خط الدفاع الأول فى وقاية الإنسان من «الغزو الميكروبى» للجسم، ولعل البيض فى جنوب أفريقيا يعون هذه الحقائق، وتتفتح أبصارهم وقلوبهم على الحق والعدل.

فى الفصول الأربعة السابقة (الإنسان، الأنثى والذكر، مراحل العمر، أبيض وأسود) تناولت قليلاً من الحقائق المتعلقة بحياة هذا المخلوق الذى كرمه الله سبحانه وتعالى ممثلاً فى آدم عليه السلام، حيث طلب من الملائكة أن يسجدوا له إجلالاً وتعظيمًا، كما يتضح من الآية الكريمة التالية:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ٣٤/ البقرة

صدق الله العظيم

ثم فى قوله سبحانه وتعالى:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ٤ / التين

وغير ذلك من الآيات البينات التى توضح المنـزلة الـرفيعة التى اختصه بها سبحانه وتعالى دون سائر المخلوقات.

عالم الجن

﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ٥٦/الذاريات

صدق الله العظيم

بعد أن تحدثت فى الفصول الأربعة السابقة عن الإنسان فى القرآن الكريم (الإنسان - الذكر والأنثى - الإنسان فى مراحل العمر - أبيض وأسود) أنتقل الآن للحديث عن «عالم الجن»، مخلوقات أخرى لا نراها بأعيننا، ولكننا نسمع عنها فى كثير من الآيات البينات، فقد ورد ذكرها فى تلك الآيات الكثيرة، مما لا يدع مجالاً للشك فى وجودها، خلقها الله سبحانه وتعالى كما خلق الإنسان، لتقوم بعبادته كما يتضح من الآية الكريمة الموجودة فى صدر هذا الفصل من الكتاب.

تلك المخلوقات التى لا ندرى من أمرها شيئًا هى «الجن»، وقد ورد ذكرها مقرونة «بالإنس» فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وجاء فى معجم ألفاظ القرآن الكريم أن «الجن عالم مستتر لا يرى»، وجاء فى المعجم الوسيط أن «الجن هو خلاف الإنس، واحده جِنى، ويطلق عليه أيضا اسم الجان».

إذا تأملنا الآية السابقة لوجدنا أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الجن أولًا، ثم خلق الإنس بعد ذلك، فقد قُدِّم الجن على الإنس فى تلك الآية الكريمة المتعلقة بخلقهما، وهناك آيات أخرى كثيرة تدل على سبق خلق الجن عن خلق الإنس، فعندما خلق الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام، كان الملائكة موجودين قبل هذا الخلق الجديد، وهو ما تدل عليه الآية الكريمة التالية:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ٣٤ / البقرة

صدق الله العظيم

وآية أخرى مماثلة:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ ٥٠ / الكهف

صدق الله العظيم

إن هذا الجِنِّى الكافر الذى يطلق عليه أحيانًا اسم «الشيطان» هو الذى وسوس «لآدم وحواء» بأن يـأكلا من الشجـرة المحرمـة، فكان جزاؤهما الطرد من الجنة، والهبوط إلى الأرض التى نعيش عليها فى هذه الأيام، وهبط معهم الشيطان، حيث يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ ٣٦/ البقرة

صدق الله العظيم

وتوضح لنا الآيات البينات أن الجن أنفسهم منهم المؤمنون ومنهم الكافرون، كما هى الحال مع بنى الإنسان، يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّون عَلَيْكُمْ آيَاتِى﴾ ١٣٠/الأنعام

صدق الله العظيم

وهناك آية أخرى توضح أن عذاب الآخرة مُعَدٌّ لكل من كفر من الجن والإنس دون تفرقة أو تمييز، وتلك الآية الكريمة هى:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ﴾ ١٧٩/الأعراف

صدق الله العظيم

أما المؤمنون من الجن فهم الذين تعنيهم الآية التالية:

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِى إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرِبِّنَا أَحَدًا﴾

١، ٢/الجن

صدق الله العظيم

الجن عالم مستور لا تنفذ إليه أبصارنا، ولا تدرك أبعَادَه عقُولنا، ولهم من القدرات ما يفوق كل تخيلاتنا البشرية، ومن الأمثلة على ذلك ما ورد فى «قصة سليمان والهدهد»، فهى قصة معروفة ومشهورة، والحديث عنها شيق جذاب، وموجز تلك القصة التى وردت كل تفاصيلها فى القرآن الكريم، أن سيدنا سليمان عليه السلام كانت له جنود من الجن والإنس

يأتمرون بأمره كما توضح الآية الكريمة التالية:

﴿وحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فهُمْ يُوزَعُون﴾

١٧/النمل

صدق الله العظيم

وآية أخرى مماثلة:

﴿وَمِنَ الجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ ١٢/سبأ

صدق الله العظيم



شكل (٤)

الهدهد

وفى إحدى المرات التى كان سليمان عليه السلام يتفقد جنوده «من الجن والإنس والطير» لم يجد الهدهد حاضرًا بينهم، وكان هذا الهدهد فى رحلة بعيدة، يشاهد ويتعجب لقوم وُلِّيَت عليهم امرأة لها «عرش عظيم»، وأنهم كانوا يعبدون الشمس من دون الله، وهو ما لم يكن سيدنا سليمان على علم به على الإطلاق. ولم يمض وقت طويل حتى حضر الهدهد وفاجأ سليمان بتلك المعلومات الجديدة عليه، كما توضح الآية الكريمة التالية:

﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ، وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بنبأٍ يَقِينٍ﴾ ٢٢ / النمل

صدق الله العظيم

وحدث بعد ذلك أن أرسل سليمان عليه السلام مع الهدهد برسالة ألقاها على بلقيس ملكة سبأ وفيها يقول:

﴿أَلَّا تَعْلُو عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ ٣١/ النمل

صدق الله العظيم

وعندما حضرت بلقيس إلى مجلس سليمان عليه السلام بعد رحلة طويلة استغرقت عدة أيام أراد مفاجأتها بما لم يكن يخطر لها على بال، إذ أنه كان قبل ذلك قد أحضر عرشها الذى تجلس عليه فى بلدها، وذلك بواسطة الجن الذين يأتمرون بأمره، كما توضح الآية التالية:

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الجن أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾

٣٩/ النمل

صدق الله العظيم

وآية أخرى مماثلة:

﴿قَالَ الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ ٤٠/النمل

صدق الله العظيم

وما أن وصلت بلقيس ملكة سبأ إلى مجلس سليمان عليه السلام، بعد رحلتها الطويلة حتى ألقى عليها هذا السؤال:

﴿أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ ٤٢/النمل

صدق الله العظيم

وسرعان ما آمنت به نبيا كريما، وأسلمت معه «لله رب العالمين». إن إحضار الجن لعرش بلقيس فى لمح البصر من مسافات شاسعة إلى مجلس سليمان عليه السلام، هو من الأعمال الخارقة التى لا تكاد تصدقها عقولنا البشرية، ولكنها فى نفس الوقت من الحقائق الثابتة كما يتضح من كلمات المولى عز وجل. وهو يقول جلت قدرته:

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ٨٥/الإسراء

صدق الله العظيم

فهناك فى هذا الكون المتسع الأرجاء من الألغاز والأسرار ما يفوق الوصف، ويتجاوز التقدير، وما «عالم الجن» إلا أحد تلك الأسرار التى لا يعرفها ولا يدرك أبعادها سوى الله سبحانه وتعالى، خالق كل شىء وإليه المصير.

الشمس والقمر

﴿وَالشَّمْسَ والْقَمرَ كُلٌّ فى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ٣٣/الانبياء
صدق الله العظيم

إذا انتقلنا بعد ذلك من الكلام عن الكائنات الحية إلى الأجرام السماوية لوجدنا أن الشمس والقمر هما أهم تلك الأجرام فيما يتعلق بحياة الإنسان، ويحتوى القرآن الكريم على كثير من الآيات البينات التى تجمع بين الشمس والقمر، وهما من النعم العديدة التى أفاءها الله سبحانه وتعالى على بنى البشر، فالشمس تمدنا بالضوء والحرارة أثناء النهار والقمر يبدد لنا بنوره ظلمات الليل.

والواقع أن الشمس والقمر والنجوم كلها من الأجرام السماوية التى نشاهدها فى حياتنا العادية نهارًا أو ليلًا، فما هى هذه الأجرام؟ وما علاقتها بعضها ببعض؟ وما علاقتها بالأرض التى نعيش عليها؟ سوف أحاول الإجابة على هذه التساؤلات فى بساطة تامة، وفى إيجاز شديد، إسهاما منى فى نشر الثقافة العلمية التى يحتاج إليها كل إنسان.

إن الشمس التى يسطع ضوؤها علينا كل صباح هى محور «المجموعة

الشمسية» التى ننتمى إليها، ومنها يستمد الإنسان الضوء والحرارة، وكلاهما ضرورى لاستمرار الحياة على ظهر الأرض، وحول الشمس تدور تسعة من الكواكب أو الأجرام السماوية، وهى تبعا لقربها من الشمس: عطارد والزهرة والأرض والمريخ والمشترى وزحل وأورانوس ونبتون وبلوتو (وهو أبعد هذه الكواكب عن الشمس)، وتدور تلك الكواكب التسعة حول الشمس فى مدارات بيضاوية (أى أنها مدارات تشبه الدائرة التى ضغطت من جانبيها)

ومن المعروف أن الأرض التى نعيش عليها تكمل دورتها حول الشمس فى عام واحد، أى ما يقرب من ٣٦٥,٢٥ (ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربع يوم). بينما يكمل «بلوتو» دورته حول الشمس فيما يقرب من ٢٤٧ عاما (مائتين وسبعة وأربعين عاما) طبقا لتقديرات علماء الفلك

ويتبع تلك الكواكب أجرام سماوية أخرى أصغر منها حجمًا وتدور حولها ويطلق عليها اسم الأقمار، ويوجد منها فى مجموعتنا الشمسية اثنان وثلاثون قمرًا، أشهرها وأكثرها قربًا منا هو القمر الذى يدور حول الأرض، والذى نعرفه منذ قديم الزمان، حيث تغنى بجماله الشعراء والمداحون، وهو تابع للأرض ويدور حولها دورة كاملة كل شهر، ولما كان هذا «القمر الأرضى» - مثل بقية الأقمار والكواكب الأخرى - يتركب من تربة غير مضيئة على الإطلاق، فإن النور الذى ينبعث منه ما هو إلا ضوء الشمس الذى يقع على سطحه المظلم، فينعكس منه على سطح

الأرض، كما ينعكس ضوء من سطح مرآة. فالشمس مضيئة بذاتها، أما القمر فيستمد نوره من ضوء الشمس، وفى الآية الكريمة التالية تحديد واضح لكل من الضوء والنور، إذ يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً والْقَمَرَ نُورًا﴾ ٥/يونس

صدق الله العظيم

كما أن الشمس جسم ملتهب شديد الحرارة، إذ تصل درجة الحرارة فى داخلها إلى ما يقرب من ١٥;٠٠٠,٠٠٠ (خمسة عشر مليونا) من الدرجات المئوية طبقا لتقديرات علماء الفلك، أما عند سطح الشمس فقد انخفضت تلك الدرجة انخفاضًا كبيرًا، حيث تصلْ إلى ما يقرب من ٦,٠٠٠ (ستة آلاف) درجة مئوية.

ولكن على العكس من ذلك فإن القمر له سطح بارد كسطح الأرض، وإلا لما استطاع رائدا الفضاء الأمريكيين «أرمسترونج» و «الدرين» من السير على سطح القمر، كما شاهدنا وشاهد الملايين غيرنا على شاشات التليفزيون فى مختلف أنحاء العالم، وكانت رحلتهما المثيرة التى تمت فى ٢٠ يولية ١٩٦٩ هى أولى الرحلات التى استطاع خلالها اثنان من بنى البشر التنقل والقفز على سطح القمر فى ظل جاذبية تعادل سدس جاذبية الأرض، كما أنهما استطاعا أن يحملا معهما عند العودة من تلك الرحلة التاريخية حوالى ٢٠ (عشرين) كيلو جرامًا من تربة القمر وأحجاره لتكون فى متناول العلماء والباحثين.

أما الأقمار الأخرى فهى تتبع بقية الكواكب التى سبق ذكرها، ويوجد منها على سبيل المثال قمران يدوران حول «نبتون»، وخمسة أقمار تدور حول «أورانوس»، وعشرة أقمار تدور حول «زحل» وهكذا. إن تلك الأقمار التى تدور حول الكواكب، والكواكب التى تدور حول الشمس ترتبط بعضها ببعض بقوة هائلة غير منظورة هى «قوة الجاذبية».

ولو استطاع شخص ما أن ينفذ إلى الفضاء الخارجى، ثم يتوغل بعد ذلك فى هذا الفضاء إلى مسافات شاسعة، تصل إلى ملايين الملايين من الأميال، ثم نظر إلى الشمس التى هى محور مجموعتنا الشمسية، لوجد أن تلك الشمس العظيمة لا تخرج عن كونها نجمًا ساطعًا يلمع فى سماء الكون، مثلها فى ذلك مثل ملايين النجوم الأخرى التى تزدان بها صفحة السماء، إن جميع تلك النجوم المتلألئة تترابط بعضها مع بعض فى بناء حلزونى هائل، يتخلله الغاز والغبار، ويطلق عليه الفلكيون اسم «المجرة»، وهناك من تلك المجرات المتناثرة فى سماء هذا الكون العجيب أعداد لا تحصى، فسبحان الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير، يبسط نفوذه وسلطانه على جميع تلك الأجرام السماوية كما توضح الآية الكريمة التالية:

﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ الأعراف/٥٤

صدق الله العظيم

ولكل منها مدار محدد تسير فيه بدقة وإحكام حتى لا تصطدم بالأجرام

الأخرى، بل إن هناك تخطيطًا علويًا رائعًا يفوق كل ما يتصوره العقل البشرى لنظام تلك الكواكب والأجرام الأخرى كما فى قوله تعالى:

﴿وَالشَّمْسَ وَالْقمرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ٣٣/الأنبياء

صدق الله العظيم

ولكن إلى متى يظل هذا النظام قائـمًا، وتظل الشمـوس والكواكب والأقمار على اختلاف أحجامها وأنواعها ومداراتها تسير فى تحديد محكم وتوقيت محسوب لا يستطيع الإجابة على هذا التساؤل الذى احتار فيه العلماء والفلكيون منذ قديم الزمان حتى عصرنا الحاضر، عصر الصواريخ والأقمار الصناعية، لا يستطيع الإجابة عليه سوى الله سبحانه وتعالى حيث يقول فى محكم كتابه:

﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ ٢/الرعد

صدق الله العظيم

فعند ما يأتى هذا «الأجل المسمى» (أى المعلوم مسبقًا)، قد يحدث لهذا الكون الفسيح من الأحداث الجسام ما يشيب لهوله الولدان، فتتناثـر أجزاؤه فى مساحات شاسعة لا يدرك مداها البصر، وبذلك تكون النهاية كالبداية سرًّا من الأسرار الإلهية، لا نعرف عن أى منها شيئا. فسبحانك اللهم يا رافع السماوات بغير عمد، إنك على كل شىء قدير.

الأيـام

﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ ١٤٠/آل عمران

صدق الله العظيم

لما كانت للأيام أهمية قصوى فى حياة الإنسان فقد أفردت لها فصلاً مستقلاً من الكتاب، والواقع أن تلك الوحدة الزمنية الهامة يتردد ذكرها كثيرًا فى القرآن الكريم، وفى مفهومنا العام يطلق الواحد منها على الزمن الذى يمتد من طلوع الشمس إلى غروبها (اليوم العادى). أما أيام الصيام فهى أطول من ذلك قليلاً، إذ أنها تمتد من الفجر الصادق إلى غروب الشمس (اليوم الشرعى).

وفى علم الفلك يقدر اليوم بدوران الأرض حول محورها مرة واحدة ومدته أربع وعشرون ساعة. (اليوم الفلكى).

إن أكثر الأيام شهرة وذيوعا عند عامة الناس هى أيام الأسبوع فهى معروفة تمامًا لكل إنسان، وترتبط ارتباطا وثيقًا بحياته اليومية والعملية، ومن هذه الأيام السبعة يومان فقط ورد ذكرهما فى القرآن الكريم وهما الجمعة والسبت.

اليوم الأول منها هو يوم الراحة الأسبوعية عند المسلمين جميعًا فى مشارق الأرض ومغاربها وكان قبل الإسلام يسمى «يوم العَرُوبة»، ثم سمى بعد ذلك «الجمعة»، إذ يجتمع فيه المسلمون للصلاة، وقد ورد ذكره فى القرآن الكريم فى تلك الآية المشهورة.

﴿يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ ٩/ الجمعة

صدق الله العظيم

واليوم الثانى هو السبت، وهو يوم الراحة الأسبوعية عند اليهود، وقد اشتق هذا الاسم من (سَبَتَ سَبْتًا) أى لجأ إلى الراحة والسكون، وفيه يتعبدون ثم يركنون إلى الراحة والهدوء، وقد ورد ذكره فى الآية الكريمة التالية:

﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِم شُرَّعًا﴾ الأعراف/ ١٦٣

صدق الله العظيم

ولا يقتصر مفهوم الأيام على تلك الفترات الزمنية التى سبق ذكرها، بل يمتد أيضا إلى نواح أخرى عديدة، فهو يدل مثلاً على الوقت الحاضر كما فى قوله سبحانه وتعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينكم وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا﴾ ٣/ المائدة

صدق الله العظيم

كما أنه يدل أيضا على كل زمن مقرون به حدث من الأحداث الكثيرة، ولعل أكثر هذه الأحداث ذكرًا، وأبعدها أثرًا فى قلوب المسلمين هو «يوم القيامة»، وقد تردد ذكر هذا اليوم المشهود فى كثير من الآيات القرآنية المباركة، ومنها على سبيل المثال:

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ١ / القيامة

﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ١٨٥ / آل عمران

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ ١٦ / المؤمنون

﴿وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ٩ / الحج

صدق الله العظيم

ولما كان يوم القيامة هو اليوم الذى يبعث الله فيه الخلائق للحساب فقد أطلقت عليه أيضا أسماء أخرى كثيرة نذكر منها على سبيل المثال «يوم السبت» و «يوم الحشر» و «يوم الحساب» و «يوم الخروج»، وقد ترددت كل من تلك المترادفات فى أكثر من آية قرآنية، نختار من بينها واحدة فقط لكل منها على الوجه التالى:

﴿فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٥٦ / الروم

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ ١٧ / الفرقان

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾

٤١ / إبراهيم

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الخُرُوجِ﴾ ٤٢/ق

صدق الله العظيم

«البعث» هنا يعنى إحياء الموتى، يتولاه الله سبحانه وتعالى جلت قدرته، ويأتى بعده «الخروج» من القبور، يساقون منها إلى ساحة المحكمة الإلهية، حيث يكون الثواب أو العقاب، وهذا هو يوم «الحساب»، أما «الحشر» فمعناه الجمع، أى جمع الخلائق منذ عهد آدم إلى يوم الدين، فى تجمعات يظهرون فيها (كَأَنَّهُمْ جَرادٌ مُنْتَشِر).

تلك بعض المترادفات التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم للدلالة على يوم القيامة، وهى تنتشر فى طول الكتاب وعرضه، تذكرة للمسلمين كافة بما ينتظرهم من ثواب أو عقاب، حتى يكونوا على بينة من أمرهم، استعدادًا لهذا اليوم المشهود، الذى لا يعرف زمانه أو مكانه، وهل هو من الأيام التى نعرفها أم أنه من تلك الأيام التى يقول الله سبحانه وتعالى عنها فى كتابه الكريم:

﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٤٧/الحج

صدق الله العظيم

ولا تقتصر تلك الأحداث الجسام على الإنسان فحسب، بل إنها تمتد إلى الطبيعة نفسها، إذ أنها تتشكل وتتبدل، ويتم حدوث تغييرات واضحة لكل من الأرض أو السماء أو الجبال أو غيرها من المعالم الطبيعية التى تحيط بنا، ويستطيع الإنسان العثور على كثير من الآيات

البينات التى تتعلق بتلك المعالم الطبيعية. ومنها على سبيل المثال:

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ﴾ ٤٨ / إبراهيم

﴿يَوْمَ نَطْوِى السَّمَاءَ كَطَىِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ ١٠٤ / الأنبياء

﴿يوم تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ ٩ / الطـور

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ ١٤ / المزمل

صدق الله العظيم

نماذج وأنماط من التغييرات الطبيعية التى تجتاح الكون كله فى هذا اليوم الموعود، قدمت للإنسان فى كلمات قلائل، وعبارات بسيطة واضحة، لا تحتاج إلى شرح أو تفسير، وهى كغيرها من الآيات التى تتابع ذكرها، فى صدر هذا المقال من المأثورات الرائعة التى ليس لها مثيل، فصاحة فى التعبير، وعمق فى المعنى، وبساطة فى العرض والإيضاح، تجعل الإنسان يقف مشدوها أمام عظمة الله سبحانه وتعالى، وقدرته التى ليست لها حدود.

الحديث عن الأيام فى القرآن الكريم، حديث شائق لا ينتهى، ومن الصعب على الإنسان أن يوجزه فى عبارات قلائل، ولذلك لم أستطع سوى اختيار بعض النماذج من تلك الآيات البينات التى تناولت الأيام فى شتى صورها وأشكالها، ولم يبق سوى موضوعٌ واحد هو «الأيام التاريخية» التى تعتبر جزءا لا يتجزأ من هذا الحديث.

هناك أيام لها مع التاريخ صلات وثيقة، ولا يستـطيع الإنسـان عند سماع آية من تلك الآيات إلا أن تطوف بخياله أحداث هذا التاريخ،

ومنها ما وقعت قبل نزول الإسلام أو بعده، ومن أمثلتها «يوم الطوفان» الذى أُغرق فيه الكافرون من قوم نوح عليه السلام، «ويوم حنـين» الذى وقعت فيه تلك المعركة التاريخية المشهورة بين سيدنا محمد (عليه الصلاة والسلام) وأنصاره من المؤمنين ضد الكفار، «ويوم الزينة» وهو أحد الأعياد التى كان يتزين فيها قدماء المصريين، وقد وقعت أحداثه فى مصر حيث حُدِّد هذا اليوم موعدا يتقابل فيه موسى عليه السلام مع سحرة فرعون، كما توضح الآية الكريمة التالية:

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ ٥٩ / طه

صدق الله العظيم

وموجز تلك القصة التاريخية التى تعتبر من أمتع القصص التى وردت فى القرآن الكريم أن كان هناك تحدٍ واضح بين السحرة الذين جمعهم فرعون من مختلف أنحاء البلاد وبين موسى عليه السلام، وكانوا جميعًا يظنونه ساحرًا مثلهم، وليس رسولاً من عند الله. فلما اجتمعوا فى يوم الزينة، بدأ السحرة أعمالهم بإلقاء ما فى جعبتهم من العصى والحبـال، فظهرت أمام الناظرين وهى تتلوى وتتحرك وكأنها حيات تسعى.

عنـدئذ دب الخـوف والهلع فى قلب موسى عليـه السلام ولكن الله سبحانه وتعالى أوحى إليه بـألا يخاف، وأن يلقى عصـاه على الأرض، وما أن فعل ذلك حتى تحولت تلك العصا إلى ثعبان مبين، أخذ يلتهم كل ما قدمه سحرة فرعون من وسائل الإفك والبهتان، وهنا أدرك السحرة

أن ما فعله موسى عليه السلام ليس من السحر على الإطلاق، وأنه حقيقة رسولٌ من عند الله، فكانوا هم أنفسُهُم أولَ من آمن بـه وبالـرسالـة السامية التى يحملها إلى القوم الكافرين، فما كان منهم إلا أن خروا أمامه ساجدين، معرضين أنفسهم لأقصى العقاب الذى توعدهم به فرعـون نتيجة لعصيانهم له وإيمانهم بالله العلى القدير.

الشهور والسنين

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ ٣٦/ التوبة

صدق الله العظيم

بعد التعرف على الأيام، وما ورد عنها فى القرآن الكريم، ننتقل إلى وحدات زمنية أخرى هى الشهور والسنين، ولها أهمية كبيرة فى حياتنا، فالشهور أو الأشهر - وكلاهما صحيح كما ورد فى القرآن الكريم بكل من هاتين الصيغتين - هى الوحدات الزمنية التى تنقسم السنة الواحدة إلى اثنى عشر جزءًا منها فى كل من السنتين القمرية أو الشمسية على حد سواء، وسوف يقتصر كلامى فى هذا الباب على الشهور القمرية (ويطلق عليها أيضا اسم الشهور العربية)، ويقدر الواحد منها بالزمن الذى يستغرقه القمر فى القيام بدورة واحدة حول الأرض، وعنها يقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم.

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ ٣٦/ التوبة

صدق الله العظيم

وأحب هذه الشهور إلى قلوب المسلمين جميعًا فى مشارق الأرض ومغاربها هو شهر رمضان المعظم، وهو الشهر الذى اختصه الله سبحانه

وتعالى دون الشهور جميعًا بنزول القرآن الكريم، حيث تحدثنا عن ذلك الآية الكريمة التي يتردد ذكرها كثيرًا كلما هل علينا شهر رمضان المبارك في كل عام:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ ١٨٥/البقرة

صدق الله العظيم

كما أنه الشهر الذى فُرض علينا فيه الصيام، حيث يقول الله سبحانه وتعالى أيضا فى كتابه المنزل:

﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ ١٨٥ / البقرة

صدق الله العظيم

ومن المرجح أن يكون المقصود بكلمة «الشهر» فى تلك الآية الكريمة هو «الهلال»، لأننا نتعرف على شهر رمضان المعظم باستطلاع الهلال (هلال رمضان)، وهو ما يتم أيضا فيها يتعلق بالشهور الأخرى، حيث يتم استطلاع الهلال لكل منها على حدة، والواقع أن تلك التسمية قد نشأت من «إهلال» الناس بالإخبار عنه ورفع أصواتهم بذلك (والإهلال هو الصياح ورفع الصوت)، وقد ورده فى القرآن الكريم بصيغة الجمع، حيث يقول الله سبحانه وتعالى فى الآية التالية:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾

١٨٩ / البقرة

صدق الله العظيم

كما أن إحدى ليالى شهر رمضان المعظم هى ليلة القدر، وهى الليلة التى بدأ نزول القرآن فيها على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وعنها يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ ١، ٢، ٣ / القدر

صدق الله العظيم

هذا فيما يتعلق بشهر رمضان المعظم وما اختصه به الله سبحانه وتعالى من الفضائل والمزايا التى يزهو بها على كل شهر آخر من الاثنى عشر شهرا، أما عن غير رمضان فلم يرد فى القرآن الكريم ذكر لأى شهر آخر بالاسم، بل كانت هناك إشارات فى بعض الآيات الكريمة إلى «الشهر الحرام»، ومنها على سبيل المثال:

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾

١٩٤ / البقرة

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾

٢ / المائدة

كما ورد فى الآية الكريمة التالية بصيغة الجمع:

﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾

٥ / التوبة

صدق الله العظيم

والمعروف أن الأشهر الحُرُم - وهى التى حُرِّم فيها القتال على المسلمين - أربعة أشهر، ثلاثة منها متوالية وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، والشهر الرابع هو رجب. والأشهر الثلاثة الأولى هى التى يستطيع المسلمون خلالها أداء فريضة الحج إلى بيت الله الحرام (الكعبة المكرمة) حيث يقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم:

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ ١٩٧ / البقرة

صدق الله العظيم

* * *

لو انتقلنا بعد ذلك للحديث عن السنين لوجدنا أن تلك الكلمة قد ورد ذكرها فى القرآن الكريم بمعنيين، الأول منهما هو المعنى الشائع والمعروف عند كافة الناس وهو الأعوام، أما المعنى الثانى فهو «القحط» أو «الجدب»، وهو ما نراه أو نسمع عنه فى أيامنا هذه فى كثير من البلاد الإفريقية وغيرها نتيجة لعدم نزول الغيث، فيكون هناك الجفاف الشديد الذى يحول مثل تلك البلاد تدريجيا إلى أرض جدبة لا زرع فيها ولا نبات. وينتج عن ذلق فى الرزق وصعوبة فى الحياة، ولعل أوضح مثل على ذلك هو ما ابتلى به آل فرعون فى قديم الزمان، كما توضح الآية الكريمة التالية:

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ ١٣٠ / الأعراف

صدق الله العظيم

ومع ذلك فإن كلمة «السنين» قد وردت فى القرآن الكـريم أكثر ما وردت بمعنى الأعوام. فهناك كثير من الآيات القرآنية الكريمة التى تحتوى عليها بهذا المعنى، ومنها على سبيل المثال:

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾
١٨ / الشعراء

﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِى السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾
٤٢ / يوسف

﴿وَلَبِثُوا فِى كَهْفِهِمْ ثَلاَثمِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ ٢٥ / الكهف

﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِل لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ ٥ / يونس

صدق الله العظيم

كما توجد أيضا آيات أخرى كثيرة تحتوى على تلك الوحدة الزمنية بصيغة المفرد بدلا من الجمع، ومن ذلك مثلا:

﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ٩٦ / البقرة

﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِى أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ ١٩ / النمل

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ ١٤ / العنكبوت

صدق الله العظيم

وفى الآية الأخيرة ورد ذكر كل من المترادفين «سنة» و «عام» مع بعضها البعض، وهو ما لا يوجد - على ما أعتقد - فى أية آية أخرى من القرآن الكريم. فالكثير منها يحتوى على لفظ «سنة» كما هو واضح من الأمثلة السابقة. وهناك آيات أخرى قليلة العدد نسبيًا تشير إلى تلك الوحدة الزمنية فى صورة «عام»، ومن تلك الآيات الكريمة على سبيل المثال:

﴿فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ ٢٥٩ / البقرة

﴿يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾ ٣٧ / التوبة

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ ١٢٦ / التوبة

صدق الله العظيم

تلك كلمة موجزة عن الأشهر والسنين التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم، مواقعها ومدلولها فى الآيات الكريمة التى تحتوى عليها، أتقدم بها إلى القارئ الكريم إتمامًا لمقالى السابق «حديث عن الأيام فى القرآن الكريم»، مساهمة منى فى الاحتفال بشهر رمضان المعظم، أعاده الله علينا وعلى المسلمين جميعًا فى مشارق الأرض ومغاربها، ونحن متعاونون بعد فرقة، ومتحدون بعد شقاق. والله ولى التوفيق.

العلم والعلماء

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ ٢٨/فاطر

صدق الله العظيم

إن كلمة «العلماء» لم ترد فى القرآن الكريم بهذه الصورة المعرفة إلا فى الآية الكريمة السابقة (٢٨/فاطر)، والآية القرآنية نفسها من أشهر الآيات التى تتردد على الأسماع كلما كان هناك حديث عن العلم والعلماء. وفى أيام طفولتى المبكرة كنت أدرك أن العلماء هم أولئك القائمون على أمور الدين والدعوة الإسلامية وكان هذا الإدراك حصاد ما كنت أسمعه من والدين كريمين عليهما رحمة الله، تربيا تربية دينية كمعظم الناس فى عصرهما، وأيضا مما كنت أستوعبه من مدرسين أفاضل كانوا يلقنوننا «دروس الديانة والتهذيب» كما كنا نسميها فى المدارس الابتدائية فى تلك الأيام. وكانت تلك الدروس من مواد النجاح والرسوب كمعظم المواد الاساسية الأخرى.

وبقى هذا الإدراك ملازمًا لتفكيرى وتصوراتى حتى تقدمت بى الأيام، وأخذت أتقدم بخطى حثيثة فى ميادين العلم والمعرفة، فأدركت بعد ذلك أن هناك علوما أخرى غير العلوم الدينية لها آفاق ومجالات، كما أدركت

أنه إلى جوار «علماء الدين» يوجد علماء من نوع آخر يتوفرون على التعمق فى «العلوم الدنيوية»، ومنهم على سبيل المثال علماء الفلك، وعلماء الفيزيقا، وعلماء الكيمياء، والكيمياء الحيوية، وعلماء الأحياء، وغيرهم، من علماء الدراسات الحديثة التى تتطور فى عصرنا الحاضر تطورات مذهلة.

والعلماء عموما (سواء منهم العلماء الدينيون أو العلماء الدنيويون) هم أقدر الناس على إدراك ما فى هذا الكون المتسع الأرجاء من عجائب الخلق وبدائع التكوين، مما لا يقدر على صنعه حقيقة سوى الله سبحانه وتعالى.

إن ما ذكرته عن الشمس والمجموعة الشمسية فى فصل سابق من هذا الكتاب، كنموذج للأجرام السماوية التى يمتلئ بها هذا الكون العجيب الذى نعيش فيه، أو ما ذكرته عن تكوين جسم الإنسان، والوظائف الدقيقة التى تقوم بها مختلف الأنسجة والغدد والأعضاء كنموذج، للأحياء فى كتاباتى السابقة، إن فى مثل تلك النماذج ما يبهر إدراك الإنسان العادى، فما بالك بالإنسان المتخصص الذى يدرك عظمة تلك القدرات ودقة تكويناتها.

من ذلك على سبيل المثال أن الواحد منا نحن البشر يتكون جسمه من وحدات بنائية دقيقة الحجم، يطلق على كل منها اسم «الخلية» (cell)، ويحتوى جسم الإنسان العادى على ما يقرب من ٣٥٠ بليون خلية (٣٥٠ ألف مليون خلية) لهذه الأعداد الضخمة من الخلايا الجسدية أشكال

متباينة وأحجام مختلفة ووظائف متعددة، ولكنها تعمل جميعًا فى توافق وانسجام يدعوان إلى الدهشة والإعجاب، كما أنها تتكون جميعًا من المادة الحية التى يطلق عليها علماء الأحياء اسم «البروتوبلازم» (Protoplasm)

بعد تقدم البحوث العلمية فى عصرنا الحاضر حاول مئات العلماء فى مختلف بلاد العالم، وعلى فترات متباينة، أن ينتجوا فى معاملهم مادة تشبه البروتوبلازم فى خصائصه الفريدة، ولكن باءت جهودهم جميعًا بالفشل الذريع، وبمعنى آخر أنهم كانوا - ولا يزالون - يرغبون فى إنتاج «خلية واحدة» تشبه خلايا الجسم البشرى، أو خلايا أى كائن حى آخر، ولكن لم يدركهم أى نجاح على الإطلاق.

يقول الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ، ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾
٧٣ / الحج
صدق الله العظيم

إن فى تلك الكلمات الكريمة تحد واضح صريح لأولئك الذين يحيدون عن طريق العقل والمنطق، ويرغبون فى تقليد المولى عز وجل فى الخلق والإبداع، فهو سبحانه وتعالى القادر على كل شىء، وقد ضرب لهم مثلًا «بالذباب»، تلك الحشرات الصغيرة التى يشاهدها الإنسان فى كل يوم وفى

كل مكان، وهى من أصغر المخلوقات وأضعفها، ولكن الله سبحانه وتعالى قد وضع فى هذا الجسم الضئيل من الأعضاء والأجهزة ما لا يقل روعة عما هو موجود فى جسم الإنسان، فإن لها أعينا تبصر بها كل ما حولها، ولها أجنحة تصعد بها فى جو السماء، كما توجد فى داخل أجسامها أجهزة هضمية وتنفسية ودموية وعضلية وعصبية وحسية وغيرها، مما يساعدها على الحياة والانتشار، قد تكون تلك الأعضاء والأجهزة أكثر بساطة وأقل تعقيدًا مما هو موجود فى جسم الإنسان، ولكنها على أية حال دقيقة التركيب شديدة التخصص وتقوم بوظيفتها على أحسن ما يكون الأداء.

موضوع آخر يتعلق بالقدرات الإلهية، قد يراها عامة الناس دون إدراك لأهميتها، ولكن يتفهم العلماء مغزاها وقيمتها فيقفون أمامها فى دهشة وذهول. ويتعلق هذا الموضوع بما يطلق عليه اسم «الإيحاء»، والإيحاء حقيقة لا ريب فيها، سجلها الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم فى سورة النحل، حيث تقول الآية الكريمة:

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحل أَنِ اتَّخِذِى مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ ٦٨/النحل

صدق الله العظيم

هناك عشرات الأمثلة التى يعرفها علماء الأحياء، ويحيطون بأبعادها، ويطلقون عليها بلغتهم العلمية اسم «الغريزة»، فإذا سألتهم، ولكن ما هى الغريزة؟.... أجابوك بأنها «كل عمل من الأعمال يقوم به الكائن

الحى دون إدراك لأهميته، ودون تعلم سابق لهذا العمل»، فهو يقوم به لأول مرة دون أن يكون قد شاهد أى فرد آخر من أبناء نوعه أثناء قيامه بنفس هذا العمل. ولأضرب لذلك مثلاً واحدًا يوضح ما يطلق عليه علماء الأحياء اسم «الأفعال الغرائزية»، وليكن هذا المثل بحيوان أليف معروف هو «السلحفاة».

وربما كانت السلحفاة من أكثر الحيوانات شعبية عند معظم الناس بصفة عامة، وعند هواة «تربية الحيوان» بصفة خاصة، فهى مخلوق وديع، بطىء الحركة، وهى تسير الهوينى حاملة فوق ظهرها ذلك الحمل الثقيل، الذى يتمثل فى صندوقها العظمى، وهو الصندوق الذى يغلف جسمها تغليفًا كاملاً، وبه فتحتان إحداهما أمامية يبرز منها الرأس والأيدى، والأخرى خلفية يبرز منها الذيل والأرجل. وهى تسحب كل هذه الأجزاء إلى داخل صندوقها العظمى كلما لاح لها فى الأفق ما تخشاه أو تخاف منه، وبذلك تتقى شر الحيوانات المفترسة التى تهاجمها، فلا تجد أمامها سوى كتلة صلبة لا تستطيع معالجتها، أو التهام ما بداخلها من الأجزاء الجسدية اللينة. وبذلك تنجو السلحفاة من الهلاك.

ولكن الله سبحانه وتعالى يضمن الرزق لكل دابة فى الأرض، كما يتضح من الآية الكريمة التالية:

﴿وَمَا مِنْ دابَّةٍ فىِ الأَرْضِ إلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُها﴾ ٦/هود

صدق الله العظيم



سكل (٥)
العقاب الذهبية حاملة بين مخالبها حَمَلاً صغيراً

ولذلك فقد أوحى إلى بعض الطيور المفترسة ومنها «النسر الملتحى» (وقد سمى كذلك لامتلاكه بضع ريشات سود أسفل المنقار تشبه اللحية)، أوحى إليها بطريقة فذة للتغلب على تلك الصعوبة المادية التى تعوقها عن التهام السلحفاة، فهى تحملها بين مخالبها إلى ارتفاعات شاهقة، ثم تسقطها فجأة فوق صخور الشاطئ، فيتهشم الصندوق العظمى ويتعرى ما بداخله من اللحم والأجزاء اللينة الأخرى، وفى سرعة البرق الخاطف تهبط إلى مكان فريستها، حيث تقوم بالتهامها فى يسر وسهولة كاملتين.

أما العقاب الذهبية فتحمل فريستها إلى أعالى الجبال (شكل ٥).

وهناك مجموعات أخرى من السلاحف التى هجرت الأرض اليابسة، ونزحت إلى دنيا الماء، حيث يعيش البعض منها فى البحار والمحيطات، وتلك هى «السلاحف البحرية»، بينما يعيش البعض الآخر فى الأنهار والبحيرات وغيرها من مصادر الماء العذب، وتلك هى «سلاحف الماء العذب» (الترابينات) وقد تحورت أجسام كل من هاتين المجموعتين بطريقة تساعدهما على الحياة المائية، ومن ذلك على سبيل المثال أن الأيدى قد تحورت إلى أجسام منبسطة تشبه «زعانف الأسماك»، وهى تستخدمها بمهارة فائقة فى السباحة داخل الماء، ولكنها مع ذلك لا تستطيع البقاء تحت سطح الماء فترة طويلة من الزمن، بل لابد أن تصعد من آن إلى آخر إلى سطح الماء لتستنشق الهواء الجوى، كما تفعل جميع الحيوانات الأرضية الأخرى.

إن السلاحف البحرية تقضى كل حياتها داخل الماء، حيث تعيش على خيرات البحر من نبات أو حيوان، فتنمو تدريجيا حتى تصل إلى طورها اليافع، وعند ذلك يتم التزاوج بين الذكور منها والإناث داخل الماء أيضا، ولكن وجد أن جميع السلاحف البحرية لا تقوم بعملية «وضع البيض» داخل الماء على الإطلاق، ولذلك حكمة نوضحها فيما يلى:

إن الله سبحانه وتعالى، وهو الذى ألهم النفس البشرية «فُجُورهَا وَتَقْوَاهَا»، يلهم أيضا تلك السلاحف البحرية ألا تبيض فى الماء، لأنها إن فعلت تكاثرت الأسماك والحيوانات البحرية الأخرى على هذا البيض فأبادته فى لمح البصر، فهو كبير الحجم كبيض الدجاج، ومليء بالمواد الغذائية المركزة، سرعان ما يجتذب تلك الحيوانات للحصول على وجبة شهية طازجة.

ولذلك فإن السلاحف البحرية، عندما تكون مستعدة لوضع البيض فى موسم التكاثر، فإنها تخرج ليلاً إلى الشواطئ الرملية المهجورة فى المدن الساحلية والجزر النائية، للقيام بتلك العملية بعيدة عن الانظار، وعن الأخطار، وتقوم كل أنثى بعد صعودها إلى الشاطئ بعمل حفرة كبيرة فى الرمال تضع فيها بيضها، وهو يتراوح بين ٧٠ – ٢٠٠ بيضة فى الحضنة الواحدة فى حالة «السلحفاة الخضراء».

وتقوم السلحفاة بعد وضع البيض داخل الحفرة، «بتغطيته بالرمال»، مستخدمة فى ذلك زعانفها الأمامية التى تمسح بها على تلك الرمال بعناية

كبيرة، حتى تخفيه تمامًا عن الأنظار، ثم تقف بجواره فترة من الزمن، وهى تتلفت ذات اليمين، وذات اليسار، وكأنها تريد أن تتأكد أن أحدًا لم يرها وهى تقوم بوضع البيض، ثم تعود بعد ذلك إلى البحر لتستأنف حياتها من جديد وهكذا.

أما البيض الموجود فى الحفرة، فـإنه يفقس بحـرارة الشمس، بعد ما يقرب من شهرين عادة، وما إن تخرج السلاحف الصغيرة من البيض حتى تتدافع خارجة من الحفرة الرملية، لتستنشق نسيم الحياة لأول مرة

وهنا تتجلى عظمة الله سبحانه وتعـالى، حيث يلهمها جلت قـدرته، الاتجاه إلى البحر مباشرة، دون تردد أو إبطاء، فتسير نحو البحر فى ثقة واطمئنان، دون أن يكون لهـا فى ذلك أىُّ مـرشد أو دليـل، وسرعـان ما تقذف بنفسها إلى الماء لتختفى بين الأمواج المتـلاطمة، لتبـدأ حياة جديدة فى حفظ الله ورعايته

وهناك عشرات بل مئات من الأمثلة المشابهة، تجعل العلماء المتخصصين فى علوم الأحياء عامة وفى «علم طبائع الحيوان» خاصة يقفون فى دهشة وذهول أمام تلك القدرات الإلهية التى ليست لها حدود، أليس فى مثل تلك الـظواهر التى يعـرف العلماء دقائقهـا وأبعادهـا مـا يكفى لأن يجعلهم يرتعدون من خشية الله سبحانه وتعالى كما تقول الآية الكريمة الموجودة فى صدر هذا الفصل من الكتاب.

إنهم يسجدون تحية وإجلالاً لهذا الخالق العظيم، ويقفون بين يديه فى



سكل (٦)

الأمومة غريزة أودعها الله سبحانه وتعالى فى قلوب المخلوقات، حتى الحمر الوحشية

خشية وخضوع، لأنهم أقدر من غيرهم على إدراك تلك القدرات الإلهية العظيمة، التى لا تدانيها أية أعمال بشرية خارقة أو اكتشافات حديثة، أضف إلى ذلك أن كل ما تتمخض عنه العقول البشرية هو فى واقع الأمر بإيحاء من الله سبحانه وتعالى كما تقول الآية الكريمة التالية:

﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ٥/العلق

صدق الله العظيم

وآية أخرى توضح أن كل ما يعرفه الإنسان هو قليل من كثير مما يعلمه الله سبحانه وتعالى، وهذه الآية تقول:

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ٨٥/الإسراء

صدق الله العظيم

كما أن كل تلك المعلومات التى يتباهى بها العلماء ويتفاخرون لا تصل إلى عقولهم أو تستقر فى أذهانهم إلا بإرادة الله سبحانه وتعالى، كما تقول الآية الكريمة التالية:

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ ٢٥٥/البقرة

صدق الله العظيم

تلك هى «كلمات ربى»، كلمات صادقة أمينة، تظهر أمامنا وكأنها منظومات من اللآلئ أو الأحجار الكريمة، تخطف الأبصار ببريقها وتهز المشاعر بنقائها، وتسلب الألباب والعقول ببساطتها ودقتها ونقائها، ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾؟ - صدق الله العظيم.

التسامح

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ٢٣/النساء

صدق الله العظيم

عندما وصلت إلى هذا الفصل من الكتاب كانت بشائر شهر رمضان المبارك تهل علينا بنورها الوضاء، فلم أر بدا من تضمين هذا الفصل الخاص بموضوع «التسامح فى الإسلام»، شيئًا عن شهر رمضان المبارك. والواقع أننا كثيرًا ما نسمع فى هذه الأيام عن التطرف والمتطرفين، وهى كلمات يمجها الذوق، وتعافها النفس فى جميع المسائل الدنيوية، فما بالك إذا قيلت فى مجالات العقائد والأديان، أليس من الأجدر بنا ونحن فى أوائل هذا الشهر المبارك، شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدًى للناس، أليس من الأجدر بنا نحن المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها، أن نلجأ إلى القرآن الكريم، ونهتدى بهديه، لعلنا نتجمع بعد فرقة، ونصل إلى بر الأمان.

إن هذا القرآن الكريم الذى استمع إليه ﴿نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾، هذا القرآن الكريم هو خير ما تهدأ به النفوس،

وتستقر العقول والأفهام، وفيه يجد الإنسان من العظات والأحكام كلّ ما يطمئن النفوس الحائرة والقلوب الواجفة، لأن الله سبحانه وتعالى قد جعله «قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ» ألفاظه سهلة ميسورة، وعباراته واضحة جلية، وأحكامه لا تعديل فيها ولا تبديل.

أراد الله سبحانه وتعالى أن يرجع إليه المسلمون فى كل أمورهم الدينية والدنيوية ليكون لهم هاديًا ومرشدًا، فقال عنه سبحانه وتعالى:

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾

٥٨ / الروم

صدق الله العظيم

ولنأخذ من هذه الأمثال ما يتعلق بالتسامح، وعدم إيذاء الغير، والصبر على المكاره، وعدم التصدى بالقوة أو العنف لمن يخالفوننا فى الرأى، تحية لشهر رمضان المبارك، يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ ٣٤/ فصلت

صدق الله العظيم

إن العداوة نفسها قد تنقلب إلى صداقة، ويصبح المتعادون أصدقاء متحابين، بالمعاملة الحسنة والبعد عن الحقد والبغضاء، فهل هناك ما هو أبقى على صلات الناس بعضهم ببعض من التسامح الخلاق، والترفع عن المهاترات والأحقاد؟

هذا بالإضافة إلى أن الله سبحانه وتعالى لا يحب أن يعتدى الواحد منا على الآخر بالقول أو الفعل حيث يأمرنا بذلك، كما هو واضح تماما فى الآية الكريمة التالية:

﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ١٩٠/البقرة

صدق الله العظيم

كما أن هناك من الناس من يحبون إطلاق عبارات السخرية والأقاويل الكاذبة على غيرهم بسبب أو بغير سبب إشباعا لنفوسهم المريضة، أو إرضاءً لمن هم أكبر منهم منزلة وأعز قدرًا، حتى ينالوا أجر ما يأفكون.

يقول الله سبحانه وتعالى لمثل هؤلاء الناس:

﴿يَـٰأَيها الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ ١١/الحجرات

صدق الله العظيم

وهو قول واضح لا يحتاج إلى تفسير أو إيضاح

ولست فى حاجة إلى القول إن كلمة «الإسلام» نفسها توحى بالسلام والطمأنينة والأمان، وإن كلمة «السلام» و «السلم» قد تردد ذكرهما كثيرًا فى عدد من الآيات البينات، نذكر منها على سبيل المثال:

﴿يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِى السِّلْمِ كَافَّةً﴾ ٢٠٨/البقرة

﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ٦١/الأنفال



شكل (٧)
الحمام رمز السلام

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ ٥٤/الأنعام
﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ ٩٤/النساء
صدق الله العظيم

والسلام هنا للتحية والترحيب

ولكننى أحب أن أنوه أيضا أن «السلام» من أسماء الله الحسنى، كما وصفت الجنة بأنها «دار السلام» التى يستقر فيها المؤمنون الصالحون، ولا يغشاها المنافقون.

فإذا كانت هذه المعانى تنطبق على الأيام عامة على مدار العام، فالأولى بها والأجدر أن تراعى فى شهر رمضان المعظم، وهو أحب الشهور إلى قلوب المسلمين جميعًا فى مختلف أنحاء العالم، فهو الشهر الذى اختصه الله سبحانه وتعالى بنزول القرآن الكريم على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، حيث تقول الآية الكريمة:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ ١٨٥/البقرة
صدق الله العظيم

كما أنه الشهر الذى فرض علينا فيه الصيام مصداقًا لقوله سبحانه وتعالى:

﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ ١٨٥/البقرة
صدق الله العظيم

إن الصيام لا يتم بالامتناع عن الطعام والشراب فحسب، وإنما يُستوفى كما تحدثنا الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة بالامتناع عن كل ما يلحق الأذى بغيرنا من البشر، سواء كان ذلك بالقول أو العمل فما أحوجنا فى هذا الشهر الكريم إلى عفة اللسان وسلامة القلب والتسامح والتسامى على كل ما يجرح شعور الآخرين.

الأمانة والأمناء

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾

٧٢ / الأحزاب

صدق الله العظيم

إن الله سبحانه وتعالى يولى موضوع «الأمانة» أهمية قصوى فى تعامل الناس بعضهم مع بعض، فهى فى الواقع من الصفات الحميدة التى لا يسهل على الإنسان المحافظة عليها والإبقاء على مضامينها ومستلزماتها، كما توضح الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد عرض «الأمانة» على السموات والأرض والجبال فأبين حملها، خوفًا وإشفاقًا من عدم القدرة على الوفاء بها، وأنه جل جلاله قد عرضها على الإنسان فتصدى لحملها، جهلاً بما تحتاج إليه من المتطلبات المادية أو المعنوية، فوصفه الله سبحانه وتعالى بأنه «كان ظلومًا جَهُولاً».

وتتضح تلك الأهمية التى يوليها الله سبحانه وتعالى فيما يتعلق «بالأمانات» التى توضع بين أيدينا، وردها إلى أصحابها عند احتياجهم إليها، تتضح تلك الأهمية من الآية الكريمة التالية:



شكل (٨)
نوع من «طيور الجنة»
يتميز بحسن المظهر والألوان الجذابة

﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ ٥٨ / النساء

صدق الله العظيم

فهو سبحانه وتعالى لم يقل من المستحسن أو من المفروض أن نرد الأمانات إلى أصحابها، بل هو أمر صريح من الأوامر التى يخضع لها جميع المسلمين، حتى لا يخرجوا عن طاعة الله سبحانه وتعالى. فهو أعلم بكل ما يحدث لأصحاب تلك الأمانات من المصائب والأضرار ما لم تؤد إليهم فى الأوقات المناسبة أى عندما يطلبونها.

وفى آية كريمة أخرى يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾

٢٧ / الأنفال

صدق الله العظيم

إن فى هذا الترتيب الرائع لتلك الكلمات الربانية، الله سبحانه وتعالى، ثم الرسول ﷺ، ثم الأمانات، إن فى هذا الترتيب نفسه أكبر دليل وأصدق برهان على أن الأمانة تحتل المركز الأول، أو أنها تقع على رأس الصفات الحميدة فى قائمة «مكارم الأخلاق»، فلم يحدث أن احتلت صفة أخرى مثل هذا المركز المرموق، ولنضرب لذلك مثلاً واحدًا يتعلق بأموال اليتيم، وهى الأموال التى يعهد بالتصرف فيها والسيطرة عليها إلى أحد الأوصياء من الأقربين.

إن مثل هذا اليتيم الذى فقد أحد والديه أو كليهما، وهو لا يزال طفلاً

صغيرًا أو صبيا غض الإهاب، لا يسمح لـه بالتصـرف فى أموالـه أو ممتلكاته التى يرثها عن والديه، ولذلك توضع مثـل هذه الأمـوال أو الممتلكات تحت تصرف أحد الأوصياء الذين يختارون للمحافظة عليها من الضياع، فتصبح تلك الأموال - سواء كانت من الأموال السائلة أو العقـارات أو الأراضى الزراعيـة أو غيرهـا - تصبح أمـانة فى عنق «الوصى الشرعى»، عليه أن يردهـا إلى صاحبهـا عند بلوغـه «سن الرشد». وعن ذلك يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾

١٥٣ / الأنعام

صدق الله العظيم

وفى آية أخرى مشابهة يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامى ظُلْمًا إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ ١٠ / النساء

صدق الله العظيم

ويتضح من الآية الأخيرة ما ينتظر هؤلاء الأوصياء غير الأمناء من العذاب الشديد يوم يقوم الحساب. إذ أنهم لم يحافظوا على أموال اليتامى التى سلمت لهم للمحافظة عليها، وليس للتمتع بها وإنفاقها على أنفسهم، فكأنهم عندئذ «يَأْكُلُون فِي بُطُونِهِمْ نَارًا» كما يقول المولى عز وجل.

ولكن ما هو السبب فى هذا التحريم القاطع المانع؟.... إن الله سبحانه

وتعالى يدرك الصعوبات والمشاكل التى يتعرض لها مثل هؤلاء اليتامى عندما يبدءون حياتهم العملية، دون أب يرعاهم أو أم تحنو عليهم، أو بعض الممتلكات التى يعتمدون عليها حتى يشتد عودهم ويصبحوا قادرين على مجابهة المشاكل والكفاح فى سبيل الحياة.

ويكفى تقديرًا للأمانة والأمناء أن الله سبحانه وتعالى يصف جبريل - وهو الذى عُهِدَ إليه بإبلاغ الرسالة الربانية إلى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام - بأنه «الروح الأمين»، كما يتضح من الآيتين التاليتين:

﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾

١٩٢، ١٩٣ / الشعراء

صدق الله العظيم

كما أن هناك آياتٍ أخرى كثيرة يتضح منها أن الصفة الأساسية التى كان الأنبياء جميعًا يشتركون فيها هى «الأمانة»، وذلك كى ينقلوا إلى أقوامهم ما يوحى به إليهم من المولى عز وجل، دون تغيير أو تبديل، ومن أمثال تلك الآيات البينات:

﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ ١٠٧ / الشعراء

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّى وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ ٦٨ / الأعراف

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِىُّ الأَمِينُ﴾

٢٦ / القصص

صدق الله العظيم

وهناك كثير من العلاقات البشرية الأخرى التى يجب أن تعتمد على الصدق والأمانة، ومن ذلك على سبيل المثال العلاقات التجارية، والواقع أن تلك العلاقات كانت - وما تزال - تعتمد على عمليتى الكيل والميزان فى معظم الحالات، وكان العرب فى جاهليتهم يتبادلون احتياجاتهم من السلع الضرورية كالقمح أو الذرة أو الأرز أو الشعير أو التمر أو الألبان، ولابد أن عمليات الغش فى الكيل أو الميزان كانت منتشرة بينهم فى تلك الأزمنة، فلما نزل القرآن الكريم على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وأخذ فى نشر الدعوة الإسلامية وما تتضمنه من حسن المعاملة ومكارم الأخلاق، أنزل الله سبحانه وتعالى الآية الكريمة التالية لوقف عمليات الغش:

﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخسرونَ﴾ ١ - ٣ / المطففين

صدق الله العظيم

والمطفف هو الذى يسىء عملية الكيل أو الميزان، فإذا أخذ لنفسه سلعة من متعامل ثان استوفى تمامًا وزاد عما هو مطلوب، أما إذا قام بعملية الكيل أو الميزان مما هو فى حوزته لهذا المتعامل الآخر فإنه ينقص عما هو متفق عليه، وبذلك يكون غشاشًا فى الحالتين. وتوضح الآية الكريمة السابقة أن أمثال هؤلاء المطففين لهم فى الآخرة عذاب أليم:

هذا نوع من أنواع الغش الذى حرمه الله سبحانه وتعالى، يجب أن يكون مقياسًا لكل معاملاتنا التجارية، فليس الغش التجارى قاصرًا على نقص الكمية المتفق عليها بين المتعاملين، بل يمتد أيضا إلى كثير من النواحى الأخرى، ومنها على سبيل المثال استبدال صنف جيد مرتفع الثمن بصنف آخر أقل جودة وسعرًا، أو بيع سلعة أدركها الفساد وأصبحت لا تصلح للاستعمال كالأدوية وغيرها، أو إضفاء صفات ومزايا إعلانية ليس لها وجود على الإطلاق على صنف أو آخر من الأصناف المتداولة، وغير ذلك من الأمثلة التى لا تقع تحت حصر، وخصوصًا فى أيامنا هذه التى انتشر فيها الغش والخداع بصورة مروعة لم يسبق لها مثيل.

إن الأمانة مطلوبة من كل إنسان مهما كانت مهنته أو العمل الذى يقوم به فى المجتمع، فالطبيب والصيدلى والمهندس والمحاسب والمحامى والصحفى والكاتب وغيرهم من المهنيين، والصانع والعامل والبناء والنجار والحداد وغيرهم من الحرفيين، مطلوب منهم جميعًا أن يكونوا أمناء فى أعمالهم، لأن الإخلال بهذه الصفة عند هؤلاء وهؤلاء قد ينتج عنه كثيرًا من المشاكل أو الأضرار المادية أو المعنوية لكل من يعتمد عليهم فى أداء هذه الأعمال.

وهناك حديث شريف يحض كل إنسان على إتقان العمل الذى يقوم به مرضاة لوجه الله سبحانه وتعالى، وهذا الحديث هو:

(إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه).

البر والأبرار

﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِىَ جَحِيمٍ﴾

١٣، ١٤ / الانفطار

صدق الله العظيم

البر كلمة جامعة لكل صفات الخير، فهى تشمل العطف والإحسان والصدقة وخشية المولى عز وجل وصلة ذوى القربى وغير ذلـك من حميد الصفات، كما يتضح من الآيات التالية:

﴿لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ ٩٢/آل عمران

﴿وَلَيْسَ البِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ ١٨٩/البقرة

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ ٤٤/البقرة

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾

٢ / المائدة

صدق الله العظيم

ويوصف من يتمتع بتلك الصفات الحميدة بأنه «بَرٌّ» وجمعه «أبرار»، وقد وردت كلمة «الأبرار» هى الأخرى فى كثير من الآيات القرآنية

الكريمة، نذكر منها على سبيل المثال:

﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّار لَفِى جَحِيمٍ﴾

١٣، ١٤/الانفطار

﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلأَبْرَارِ﴾ ١٩٨ / آل عمران

﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ﴾

١٩٣ / آل عمران

صدق الله العظيم

ومن أظهر النواحى التى أشار إليها القرآن الكريم فيما يتعلق بموضوع «البر» هو عن «البر بالوالدين»، ويتضح ذلك من الآيات القرآنية العديدة التى تشير إلى ذلك، ومنها على سبيل المثال:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾٢٣/ الإسراء

صدق الله العظيم

فى تلك الآية الكريمة أمر واضح صريح من الله سبحانه وتعالى بأن تقتصر عبادة المؤمنين على الله وحده دون أحد سواه، ويلى ذلك مباشرة أمر آخر بالإحسان للوالدين والعطف عليهما، وعدم الإساءة لأى منهما، حيث تقول الآية التالية مباشرة:

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ ٢٤ / الإسراء

صدق الله العظيم

لا يستطيع الإنسان عند قراءة مثل تلك الآيات البينات أو سماعها تتلى عليه، إلا أن يسجد لله شكرًا على تلك النصائح والإرشادات التى تسمو بالإنسان إلى أرفع درجة، وأعلى مقدار، إن الله سبحانه وتعالى - وهو الغفور الرحيم - يغفر الذنوب جميعًا ما عدا «الشرك بالله»، فهو الأمر الذى لا رحمة فيه، ولا غفران له، إذا أدركنا تلك الحقيقة ووعيناها جيدًا، نجد أن الله سبحانه وتعالى يرتب هذا الموضوع فى المرتبة التالية مباشرة لما هو منصوص عليه قبل ذلك مباشرة عن الشرك بالله، كما أن ما ورد عنهما معًا لا يدخل فى باب النصائح والإرشادات، بل هو أمر صريح واجب التنفيذ.

إن الإطالة فى هذا الحديث واجب كل مسلم مؤمن، فى زمن استشرى فيه الفساد، وأصبحنا نسمع ونشاهد ما ترجف له العقول، وتقشعر الأبدان، فيما يتعلق بالإساءة للوالدين، أحدهما أو كليهما، لأسباب مادية أو معنوية، مما لم نكن نسمع عنه من قبل على الإطلاق.

إذا انتقلنا بعد ذلك إلى الحديث عن البر والإحسان بصفة عامة نجد أنهما مطلوبان فى كل معاملاتنا اليومية، مطلوبان لذوى القربى واليتامى والمساكين والسائلين وأبناء السبيل، كما يتضح من الآية الكريمة التالية:

﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى والْمَساكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ والسَّائِلِينَ﴾ ١٧٧ / البقرة

صدق الله العظيم

ويعتبر إنفاق بعض المال الذى نحصل عليه فى حياتنا العملية فى البر والإحسان، من أهم الواجبات الإنسانية نحو المجتمع الذى نعيش فيه أو ننتمى إليه، كما أنه فى الوقت نفسه ركن من أركان الإسلام، فهو لا يكتمل بغير «الزكاة»، فرضها الله سبحانه وتعالى على كل مسلم مؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر، تقول الآية الكريمة:

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ ١٩/الذاريات

صدق الله العظيم

إن أحقية الاستفادة من هذا المال، أو الانتفاع به، مرتبة فى الآية الكريمة السابقة بشكل واضح صريح، فهو لذوى القربى أولا، ثم اليتامى، وبعد ذلك المساكين وابن السبيل والسائلين، والواقع أن الأقربين هم أولى بالمعروف، فإذا كان هؤلاء الأقربين من الفقراء أو المحتاجين، فهو أولى بالمساعدات المادية من غيرهم، يليهم بعد ذلك اليتامى الذين فقدوا واحدًا من أبويهم أو كليهما، وخصوصًا إذا كانوا من الصبيان أو الصبايا الذين لم يبلغوا سن الحلم، ولا يستطيعون تكسب المال الذى ينفقونه على مطالب الحياة، وذلك مساعدة لهم على تخطى العقبات، وإنقاذًا لهم من السقوط والزلل. وتأتى الفئات الأخرى بعد ذلك كما هى مرتبة فى الآية الكريمة.

ومن الخير تمامًا أن يكون إعطاء هذا المال لمن هم فى حاجة إليه فى السر لا فى العلن. إذ أن الإعلان عنه، أو التفاخر به، يفقده «الثواب» الذى ينتظره المانح من الله سبحانه وتعالى، كما أنه قد يؤذى شعور

الآخـرين الذين منحـوا هذا الإحسـان، والأولى بالمـانح والأوفق لـه «ألا تعرف شماله ما أعطت يمينه».

وهناك كلمة أخرى مماثلة للأبرار وهى «البـررة» ومفردهـا «بارٌّ»، ولكنها لم ترد فى القرآن الكريم سوى مرة واحدة فقط، تبعًا لما أورده «معجم ألفاظ القرآن الكريم»، وتلك الآية هى:

﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ ١٥، ١٦ عبس

صدق الله العظيم

مختارات من الآيات القرآنية

يسألنى أحيانا بعض زملائى من العلميين عن آيات قرآنية تتضمن الإنسان، أو أعضاء فى جسم الإنسان، أو وظائف لهذه الأعضاء، أو عن دواب الأرض، أو الأجرام السماوية أو غيرها، إلى هؤلاء، أو الذين يرغبون فى الكتابة العلمية الدينية، أو الذين يرغبون فى الاستشهاد ببعض الآيات البينات من القرآن الكريم فى كتاباتهم العادية، أتقدم بهذه الباقة من الآيات:

أولا: عن الإنسان:

الجسم : ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِى الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ ٢٤٧/البقرة

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ ٤/المنافقون

الرأس : ﴿إِنِّى وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّى وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ ٤/مريم

العنق : ﴿وَجَعَلْنَا الأَغْلَالَ فِى أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ٣٣/سبأ

الصدر : ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ ٤٩/العنكبوت

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ١١٩/آل عمران

البطن : ﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ ٦٦/الصافات

الأيدى : ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾ ١٩٥/الأعراف

الأرجل : ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾ ٤٥/النور

الأصابع : ﴿يَجْعَلُون أَصَابِعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ﴾ ١٩/البقرة

﴿وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلوا أَصَابِعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ﴾ ٧/نوح

العين : ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ ١٧٩/الأعراف

الأذن : ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ ١٧٩/الأعراف

الأنف : ﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ﴾ ٤٥/المائدة

الوجه : ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِى هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا﴾ ٩٣/يوسف

الجبهة : ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ ٣٥/التوبة

اللسان : ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْن وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ ٩/البلد
﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ ١٠٣/النحل
واللسان فى الآية الثانية بمعنى اللغة

الأسنان : ﴿وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ ٤٥/المائدة

الشفة : ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ ٩/البلد

الصلب : ﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ ٥ – ٧/الطارق
الصلب هنا بمعنى العظم

العظام : ﴿قَالَ مَنْ يُحيى الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ ٧٨/يس

اللحم : ﴿فَخَلَقْنَا المضغَةَ عظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾
١٤/المؤمنون
اللحم هنا هو عضلات الجسم التى تحيط بالعظام

القلب : ﴿إلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْب سَلِيم﴾ ٨٩/الشعراء
﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾
١٥٩/آل عمران
﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فى جَوْفِهِ﴾ ٤/الأحزاب

السمع : ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾
٧٨/النحل

البصر : ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُل أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئولاً﴾
٣٦/الإسراء

الـذوق : ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾
٢٢/الأعراف

اللمس : ﴿وَأَنَّـا لَمَسْنَا السَّمَـاءَ فَوَجَـدْنَاهَـا مُلِئَتْ حَرَسًـا شَدِيـدًا وشُهُبًا﴾ ٨/الجن

الصوت : ﴿يَـاأَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـوا لاَ تَرْفَعُـوا أَصْوَاتَكُمْ فَـوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ ٢/الحجرات

الهمس : ﴿وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا﴾
١٠٨/طه

الكلام : ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلاَمَ اللَّهِ﴾ ١٥/الفتح

﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾
٧٥/البقرة

الضحك : ﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ ١١٠/المؤمنون

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ ٨٢/التوبة

الابتسام : ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا﴾ ١٩/النحل

المشى : ﴿وَلاَ تَمْشِ فِى الأَرْضِ مَـرَحًا إِنَّـكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾ ٣٧/الإسراء

﴿وَاقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ ١٩/لقمان

الجرى : ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجنَاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ ١٣٦/آل عمران

﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهِمْ﴾ ٦/الأنعام

الأكل : ﴿أُسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْها رَغَدًا﴾ ٣٥/البقرة

﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ٥٧/البقرة

الشرب : ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى﴾ ٢٤٩/البقرة

﴿مَاهَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ ٣٣/المؤمنون

الرضاعة : ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لمنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ ٢٣٣/البقرة

النفس : ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شيئًا نُكْرًا﴾ ٧٤/الكهف

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِى إِنَّ النَّفس لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ ٥٣/يوسف

الروح : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ ٨٥/الإسراء

﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ ٩/السجدة

الجسد : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾ ٣٤/ص

أى ألقيناه على كرسيه جسدا لاحراك له

الحى : ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾

١٩/الروم

الميت : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ٣٠/الزمر

البعث : ﴿إِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾

٥/الحج

﴿فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٥٦/الروم

ويوم البعث هو يوم القيامة.

ثانيا: عن دواب الأرض:

النمل : ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَاأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾

١٨/النمل

النحل : ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ ٦٨/النحل

دابة الأرض: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَادَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ﴾ ١٤/سبأ

والمقصود بدابة الأرض هو الأرضة أو النملة البيضاء

الذباب : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ ٧٣/الحج

البعوض : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ ٢٦/البقرة

الجراد والقمل والضفادع: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ﴾ ١٣٣/الأعراف

العنكبوت : ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ ٤١/العنكبوت

الطير : ﴿وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾ ١٦/النمل

الهدهد : ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ ٢٠/النمل

الغراب : ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوارِى سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ ٣١/المائدة

اللؤلؤ والمرجان: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ ٢٢/الرحمن

﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ ٢٣/الحج

الثعبان : ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ ١٠٧/الأعراف

الحية : ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ ٢٠/طه

الكلب : ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ ١٧٦/الأعراف

الذئب : ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ ١٣/يوسف

الأنعام : ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ والأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾
٢٨/فاطر

﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾
٥/النحل

الإبل : ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ ١٧/الغاشية

المعز والضأن: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾
١٤٣/الأنعام

الغنم : ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ ١٨/طه

البقر : ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾ ١٤٤/الأنعام
﴿وَإِذْ قَالَ موسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾
٦٧/البقرة

الخنزير : ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ والدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ﴾
١٧٣/البقرة

الخيل والبغال: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ ٨/النحل

الحمير : ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الأَصواتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ ١٩/لقمان

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُملوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ ٥/الجمعة

الفيل : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ ١/الفيل

وهو أضخم الحيوانات الأرضية.

الحوت : ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ ١٤٢/الصافات

وهو أضخم الحيوانات البحرية.

ثالثا: عن الكون والظواهر الطبيعية:

الشمس والقمر: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ ٣٣/إبراهيم

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ ٣٨/ يس

الكواكب : ﴿إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَاجِدِينَ﴾ ٤ / يوسف

﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ ٦/الصافات

النجوم : ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ ٥٤ / الأعراف

﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِى ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ ٩٧ / الأنعام

الأرض : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَـوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَابَثَّ فِيهِمَـا مِنْ دَابَّةٍ﴾ ٢٩ / الشورى

﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ ٦٥/النحل

الماء : ﴿وَأَنـزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَـاءً فَأَخْـرَجَ بِـهِ مِنَ الثَّمَـرَاتِ رِزْقًـا لَكُمْ﴾ ٢٢/البقرة

الأنهار : ﴿وَهُوَ الَّذِى مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِىَ وَأَنْهَاراً﴾ ٣/الرعد

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّـاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَـا الأَنْهَارُ﴾ ١٧/الفتح

البحار : ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ ٢٧/لقمان

﴿وَهُـوَ الَّذِى مَـرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَـذَا عَذْبٌ فُـرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ ٥٣/الفرقان

العيون : ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَـابٍ وَفَجَّرْنَـا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾ ٣٤/يس

﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً﴾ ١٨/الإنسان

سلسبيل اسم عين فى الجنة

الجبال : ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ ٢٧ / فاطر

الوديان : ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ ١٢١ / التوبة

﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ ١٢ / طه

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾

١٧ / الرعد

الليل والنهار: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾

٢٧ / آل عمران

الرياح : ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾

٥٧ / الأعراف

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ ٢٢ / الحجر

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ ٤٦ / الروم

السحاب : ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ ٤٨ / الروم

المطر : ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾

٨٤/الأعراف

البرق : ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ ١٢/الرعد

الطـوفان : ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ﴾ ١٣٣/الأعراف

الـزلـزال : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ ١ – ٢/الزلزلة

خاتمـة

يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿الْيَـوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَـكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا﴾ ٣/ المائدة

صدق الله ملعظيم

تلك آخر آية نقلها جبريل عليه السلام إلى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، حملها الروح الأمين إلى الرسول الكـريم، خير الكـلام لخير الأنام، آخر رسالة من المولى عز وجل إلى آخر الأنبياء والمرسلين، اختتم بها الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم، فقد توالى نزول الآيات البينات على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام على مدى أكثر من عشرين عامًا، وكـان نزولهـا فى فترات متتـالية، يحملهـا «الروح الأمـين» فى صـدق وإخلاص، إلى سيدنا محمد عليه الصلاة والسـلام، وسرعـان ما يقـوم الرسول الكريم بإلقاء ما أنزل عليه من الآيات البينات على مسامـع الصحابة والتابعين، خشية أن يضيع منها لفظ أو تنسى منها كلمة، وهو الرسول الأمين الذى يود إبلاغ الرسالة كما حملها إليه جبـريل عليـه السلام، ناصحًا لهم بترديدها وحفظها، حتى يكونوا عونًا له فى الحفاظ على

تلك الآيات البينات، التى هى كلمات من المولى عز وجل، وقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يزيل عنه هذا الخوف، وأن يبث فى روحه الطمأنينة والأمان، فنزلت الآية الكريمة التالية:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ٩/ الحجر

صدق الله العظيم

أى أن الله سبحانه وتعالى سيتولى بنفسه الحفاظ على هذا القرآن الكريم إلى يوم الدين.

إن تلك الآيات البينات قد نزلت على الرسول الكريم لكى يتم إبلاغها للمؤمنين برسالته الربانية، وكانت للوعظ والإرشاد فيما يتعلق بكل أمورهم الدينية أو الدنيوية، أو معاملاتهم اليومية، أو علاقاتهم الأسرية أو الاجتماعية، وكان الكثير منها ينزل فى مناسبات خاصة، تقويماً لكل اعوجاج فى السلوك، أو انحراف عن الطريق القويم، أو اجتثاثاً للتقاليد البالية والعادات السيئة، التى كان يقاسى منها الأفراد والجماعات، كاحتساء الخمر أو ممارسة الميسر، أو التخلص من الأبناء خشية الفقر والإملاق، أو التخلص من البنات خشية الفضيحة أو وقوعهن أسرى فى يد الأعداء.

يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ٩٠/ المائدة

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ ١٥١ / الأنعام
﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ ٨، ٩ / التكوير
صدق الله العظيم

تلك نماذج من الآيات البينات المتعلقة بعادات سيئة وتقاليد بالية كانت منتشرة فى الجاهلية، أراد الله سبحانه وتعالى تخليص الإسلام منها، حتى يكون هذا الدين دين المحبة والبقاء، هذا بالإضافة إلى أن الله سبحانه وتعالى قد أنزله بلغة عربية فصحى يفهمها القاصى والدانى من هؤلاء الأقوام، إذ تصفه الآية القرآنية الكريمة كما يلى:

﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ ٢٨ / الزمر
صدق الله العظيم

ومما يدعو إلى الدهشة والإعجاب أن العرب الأقدمين، كانوا يحبون الشعر ويعجبون بالشعراء، وكانت الأشعار متبادلة بينهم على طول البادية وعرضها، وليس حديث «المعلقات» التى كان ينظمها فطاحل الشعراء فى كل عام بخاف على أحد. هؤلاء العرب الأقدمون تذوقوا آيات القرآن البينات – عند استماعهم إليها لأول مرة – وأخذوا يرددونها دون تصديق لها، بل كانوا يظنون أن سيدنا محمدًا عليه الصلاة والسلام، هو أحد هؤلاء الشعراء الموهوبين، وليس نبيا كريمًا كما يدعى. وكان من جراء ذلك أن نزلت الآية الكريمة التالية:

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾
٦٩ / يس

صدق الله العظيم

كما أن الله سبحانه وتعالى قد نزه رسوله الكريم عن طائفة الشعراء الذين يشطون فى الخيال، وينسبون لأنفسهم أقوالاً أو أفعالاً لا يستطيعون القيام بها، أو الإقدام عليها، وبخاصة عندما يتكلمون عن الشجاعة والفروسية مما كان سائدًا بينهم فى ذلك الزمان. وفى نطاق هذا المضمون نزلت الآية الكريمة التالية عن الشعراء:

﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ ٢٢٤ - ٢٢٦ / الشعراء

صدق الله العظيم

إن هذا القرآن الكريم لم يطرب له، ويعجب به السامعون من البشر فحسب، بل إن «الجن» أنفسهم قد طربوا للقرآن الكريم عند سماعه، كما تدل على ذلك الآية الكريمة التالية:

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ ١ / الجن

صدق الله العظيم

إن الله سبحانه وتعالى لم ينزل القرآن الكريم لفئة من الناس دون أخرى، أو لطائفة دون طائفة، بل هو للناس جميعًا، دون تفرقة أو تمييز،

ولذلك كانت اللغة التى خوطب بها هؤلاء الناس سهلة ميسورة، يستطيع كل من كان على معرفة يسيرة باللغة العربية أن يستوعب كل ما جاء فى تلك الآيات البينات من الحكم والمواعظ والإرشادات والتوجيهات والأوامر والنواهى والأقوال والأمثال، يستطيع أن يستوعبها ويتفهمها فى سهولة تامة، إن الله سبحانه وتعالى قد يسره لكل راغب فيه أو محتاج إليه، كما يتضح من الآية الكريمة التالية:

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾

١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٢ / القمر

صدق الله العظيم

إن هذه الآية الكريمة التى تتجلى فيها السهولة اللفظية، بشكل لا يحتاج إلى برهان أو دليل، قد كررها الله سبحانه وتعالى أربع مرات فى سورة القمر بنفس الألفاظ، إيضاحًا وتأكيدًا لكل المعانى السابقة.

وبعد، فهذه لمحة سريعة عن الآيات البينات التى تناولتها فى متن هذا الكتاب، الصغير الحجم، الكبير الفائدة، لعلى أكون قد وفقت فى عرضها على القراء الأعزاء، وفى شرح مدلولاتها العلمية بأبسط العبارات وأسهل الألفاظ.

والله ولى التوفيق.

محتويات الكتاب

صفحة

قائمة بالكتب العلمية
للدكتور/ محمد رشاد الطوبي

الكتب المؤلفة

١ - طبائع النحل:

المكتبة الثقافية - رقم ١٠٢ - عام ١٩٦٤

٢ - صراع مع الميكروب:

المكتبة الثقافية - رقم ١١٦ - عام ١٩٦٤

٣ - ألوان من أحياء البحر:

المكتبة الثقافية - رقم ١٤٢ - عام ١٩٦٥

٤ - عالم الحيوان:

(دار المعارف) سلسلة كتابك - عام ١٩٧٧

٥ - حياة الطيور:

دار المعارف - سلسلة كتابك - عام ١٩٨٤

٦ – الفيتامينات:

دار المعارف – سلسلة اقرأ – عام ١٩٤٦ وأعيد طبعه عام ١٩٥٥

٧ – الهرمونات:

دار المعارف – سلسلة اقرأ – عام ١٩٤٨

٨ – علم الحيوان العام: (بالاشتراك مع الدكتور محمود حافظ وآخرين)

مكتبة الإنجلو المصرية – عام ١٩٤٩

(أعيد طبعه عام ١٩٦١ – ١٩٦٤ – ١٩٧٦ – ١٩٨٠ – ١٩٨٥)

ويُدَرَّس هذا الكتاب حاليا فى معظم الجامعات العربية ومنها جامعتى القاهرة والرياض.

٩ – ﴿وفى أنفسكم أفلا تبصرون﴾: (صدق الله العظيم)

دار المعارف – سلسلة اقرأ – عام ١٩٨٣

١٠ – ﴿وجعلنا من الماء كل شىء حى﴾: (صدق الله العظيم)

دار المعارف – سلسلة اقرأ – عام ١٩٨٥

١١ – ﴿خلق الإنسان من علق﴾: (صدق الله العظيم)

دار المعارف – سلسلة اقرأ – عام ١٩٨٧

١٢ – ﴿وبث فيها من كل دابة﴾: (صدق الله العظيم)

دار المعارف – سلسلة اقرأ – عام ١٩٨٨

١٣ – ﴿فمنهم من يمشى على بطنه﴾: (صدق الله العظيم)
دار المعارف – سلسلة اقرأ – عام ١٩٨٩

١٤ – أساسيات علم الحيوان (باللغة الإنجليزية)
(بالاشتراك مع الدكتـور محمود حـافظ والدكتـور عباس إبـراهيم حسن) مكتبة الأنجلو المصرية – عام ١٩٤٩
(أعيد طبعه ١٩٥١، ١٩٥٧، ١٩٦٧)

الكتب المترجمة

١٥ – الإنسان والميكروب والمرض:
سلسلة الألف كتاب – علوم رقم ١٨ – عام ١٩٥٦

١٦ – قصة الحلقة المفقودة:
مؤسسة فرانكلين – عام ١٩٦٨

١٧ – حياة الزواحف والبرمائيات:
المؤسسة المصرية العامة للكتاب – عام ١٩٧٧

الكتب التى روجعت ترجمتها

١٨ - الفيروس والإنسان:

سلسلة الألف كتاب - علوم رقم ١٩ - عام ١٩٥٦

١٩ - الوراثة والسلالة والمجتمع:

سلسلة الألف كتاب - علوم رقم ٢٥ - عام ١٩٥٧

٢٠ - استخفاء الحيوان:

سلسلة الألف كتاب - علوم رقم ٣١ - عام ١٩٥٧

٢١ - شخصية الحيوان:

سلسلة الألف كتاب - علوم رقم ٣٧ - عام ١٩٥٨

٢٢ - الأساس الجسمانى للشخصية:

سلسلة الألف كتاب - علوم - عام ١٩٦٦

٢٣ - طرق وأسس التصنيف فى علم الحيوان:

مؤسسة فرانكلين - عام ١٩٦٦

٢٤ - الأساسيات فى علم تكوين الجنين:

مؤسسة فرانكلين - عام ١٩٦٨

٢٥ - التطور - عملياته ونتائجه:

مؤسسة فرانلكين - عام ١٩٦٩

٢٦ - الفقاريات:

مؤسسة فرانكلين - عام ١٩٧١

رقم الإيداع		١٩٩١ / ٢٩٧٦
الترقيم الدولى	977-02-3211-4	ISBN

٦٢ / ٩٠ / ١

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

يحتوى هذا الكتاب على دراسة خاصة بالقرآن الكريم فيما يتعلق بالإنسان، وكما وردت فى مختلف الآيات البينات، ثم يتطرق الحديث بعد ذلك إلى «الذكر والأنثى» مع إيضاح علمى للأسباب المؤدية إلى ولادة كل منهما، وهناك تحليل علمى آخر خاص بلون الجلد فى مختلف السلالات البشرية، وأهمية ذلك فى حياة الإنسان، ويلى ذلك حديث عن «الجن» وما يستطيع الباحث استخلاصه من الآيات القرآنية الكريمة المتعلقة بهذا العالم المجهول الخاص بالبشر، وهناك أيضًا دراسات خاصة ببعض الظواهر الطبيعية، «كالليل والنهار والشمس والقمر» فيها مزيد من العلم والمعرفة.

٤٠٦٠٧٨/٠١